قطاع الثقافة

روبير الفارس

أيام السجن و الصلاة

ذكريات الأساقفة فى سجون سبتمبر

أيام السجن والصلاة

ذكريات الأساقفة
فى سجون سبتمبر

روبير الفارس

رئيس مجلس الإدارة

ياســــــر رزق

المدير العام

علاء عبد الوهاب

أيام السجن والصلاة
ذكريات الأساقفة
فى سجون سبتمبر

روبير الفارس

تصميم الغلاف

إســـلام الشيـــخ

الإخراج الفنى

خـــالد شـــوارب

إدارة التسويق

تليفاكس: ٢٥٧٩٥٨٩٦

email: thakafa.ad@gmail.com

FaceBook: thakafabookstores

الموزع الوحيد بالمملكة العربية السعودية

المكتبة العصرية: جدة - الرياض - أبها

٢٣١٧٩٧٥ * ٤٧٣٠٠٣٤ * ٦٧٣٠٦٥١

بطاقة فهرسة

الفارس، روبير.

أيام السجن والصلاة: ذكريات الأساقفة فى سجون سبتمبر / روبير الفارس.- القاهرة : أخبار اليوم ، قطاع الثقافة - ٢٠١٨.

٩٢ص، ١٧×٢٤سم

تدمك ٠ ٧٦٥ ٠٨١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الأقباط.

٢ - مصر - تاريخ - العصر الحديث - أنور السادات ١٩٣١-١٩٨١.

٣ - المسيحيون .

٤ - الصراع الطائفي

أ - العنوان

٩٢٢,٨١٧٢

مدخل
الطريق إلى ٥ سبتمبر ١٩٨١

فى كتابه «جماعات التكفير فى مصر» يقول الدكتور عبد العظيم رمضان واصفاً قرار الرئيس السادات فى ٥ سبتمبر ١٩٨١ بإلغاء قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا للإسكندرية وبطريركاً للكرازة المرقسية والذى هو تصديق على الاختيار الكنسى للبطريرك «ليس إنشاء للمنصب بل إعلان أو كشف له». فاختيار البطريرك عمل روحى طقسى، يخص الأقباط، وموافقة الدولة نزولاً على رغبة الأقباط . يقول الدكتور عبد العظيم «هذا الحدث ليس له مثيل فى تاريخ مصر الحديث، ولم يكن السادات فى هذا القرار يستند إلى قانون أو دستور أو تقاليد؛ لأن الجهة الوحيدة التى لها حق عزل البابا وفقاً لتقاليد الكنيسة القبطية هى المجمع المقدس، وعلى أن يكون ذلك بعد مساءلة يتبين فيها ثبوت تهمة الهرطقة، أو بيع الرتب الكهنوتية، أو الجنون غير القابل للشفاء. وإذا أصدر المجمع المقدس قرار العزل فإن الأمر يحتاج إلى موافقة رؤساء الكنائس الكبرى فى العالم». ولكن ما الذى جعل الأمور تصل إلى هذا الصدام؟..إن المراجع التى أمامنا لا تجعلنا نرجع للوقائع فقط...بل تأخذنا فى تحليل لشخصية الرئيس السادات، من خلال قراراته الكثيرة والمتناقضة والتى تصل أيضاً إلى «حد التضاد».

فالسادات الذى يعجب بنمط الشخصية الأمريكى- لدرجة أنه فى أول زيارة لأمريكا وكان رئيساً لمجلس الأمة عام ١٩٦٦- أعجب بالكرسى الهزاز الذى كان يجلس عليه الرئيس جونسون، وفور عودته كان أول شىء يطلبه «كرسى هزاز » مثل الذى رآه فى البيت الأبيض، بل ويعجب أيضاً بمنصب مستشار الرئيس للأمن القومى فى أمريكا؛ فيقدم حافظ إسماعيل بنفس اللقب، بل ويسمح بأن يتم تصويره بالملابس الداخلية، ونشر تلك الصور بالصحف القومية.. وإذا حصرنا هذه المواقف المتأرجحة والمتطرفة بين اليمين واليسار لن تكفى هذه الصفحات؛ لذلك سوف ننتقل للحديث عن دوره- الخطير- فى تكوين الجماعات

الإسلامية والتى قلبت حياة المصريين، وصنعت الاحتقان الطائفى الذى لا تزال آثاره قائمة حتى اليوم. وهناك إجماع بين الكتاب والمؤرخين على ضلوع السادات فى ظهور ورعاية الجماعات الإسلامية المتطرفة (راجع فى ذلك كتاب «جماعات التكفير فى مصر» للدكتور عبد العظيم رمضان وكتاب «خريف الغضب» لمحمد حسنين هيكل...وغيرهما). وقد أوجز الأستاذ محمد عبد السلام الزيات والذى كان قريباً من السادات لفترة طويلة فى كتابه «السادات القناع والحقيقة» صفحة ٢٩١ - هذا الدور للسادات قائلا «كان السادات منذ بداية العام الدراسى فى ١٩٧٠ يردد على مسامعى فى كل يوم أنه يشم رائحة مؤامرة أو مخطط عدوانى، وعلينا أن نواجه هذا المخطط، ونحبط المؤامرة. وكنت أسأله كلما ردد أمامى كلمة مؤامرة أو مخطط، عما إذا كانت قد تجمعت لديه معلومات من أجهزة معلوماته، يستفاد منها أن هناك مؤامرة، كان يرد بأن شعوره لا يكذب... وفى الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر كانت حركة الطلبة قد بلغت قمتها- يقصد مظاهرات الطلبة التى تطالب بالحرب مع إسرائيل- وفى مقابلة مع السادات انتقل إلى مرحلة جديدة وهى مرحلة ضرورة مواجهة مؤامرة الطلبة ولو بالدم، وسألته هل ستحولها إلى حرب أهلية ونحن على أبواب حرب مع العدو، ثارت ثائرته وقال «لقد ضقت بسياستك وحوارك. لقد حسمت الموضوع.. إننا فى حاجة إلى شباب (رجالة) يضربون ويهاجمون ويقتحمون وقد كلفت محمد عثمان إسماعيل (كان عضواً بمجلس الشعب عن أسيوط وأمين لجنة النظام فى الاتحاد الاشتراكى ومحافظ أسيوط حتى صيف ١٩٨٣) ومعه عدد من نواب الصعيد بأن يعدوا لنا فرقاً من طلبة- الجماعات.. يسلحونها ويدربونها، وهناك الإخوان المسلمون- يمكن كمان يتصدوا للطلبة. ويضيف الزيات قائلاً «لم أحتمل هذا الموقف وكان أكثر من طاقتى أن أحتمله، فقلت للسادات، أما وقد وصلنا إلى هذا الحد، أرى من واجبى أن أذكركم بتجربة الثورة مع الإخوان المسلمين واضطرارهم إلى التصادم معهم مرتين. وإذا بدأنا باستخدام العنف فإن حلقاته لا تنتهى فالعنف يولد العنف.. وأخذت الأحداث بالفعل تتداعى منذ ذلك الحين، ظهرت المطاوى فى أيدى بعض الطلبة وهاجموا بها إخوانهم وزملاءهم وتظاهر بعض رجال الأمن بأنهم طلبة، وتسترت أجهزة الأمن على كل هذا، وتسابق المسئولون فى الجامعات والمباحث وأمن الرياسة إلى الاستجابة لرغبات السادات، والاتصال بعناصر طلابية وتدريبها على التصدى، وتشكلت الأسر الدينية. ومنذ يناير ١٩٧٢ تزايد نشاط جهات الأمن؛ المباحث وأمن الرئاسة فى التنافس على تجنيد عناصر مأجورة من الطلبة «للتصدى والاقتحام» تقرباً للعنف السلطوى...وسيطرت الجماعات الدينية على الاتحادات الطلابية، بل سيطرت هذه العناصر سيطرة كاملة على كل أنشطة الجماعات (كما جرى فى

جامعتى أسيوط والقاهرة). ويسأل الأستاذ الزيات قائلاً من المسئول عن خلق المناخ الذى أحل التعصب بديلاً عن السماحة التى عرفت عنا، وعرفناها عن أنفسنا؟ ومن الذى أحل العنف بديلاً عن الحوار؟ والخنجر والسلاح بديلاً عن السياسة؟ ويشهد اللواء ممدوح كدوانى مفتش مباحث أمن الدولة بأسيوط فى قضية تنظيم الجهاد فى أسيوط:

«الأهرام٦/٣/١٩٨٣» قائلاً: كانت الجماعة الإسلامية تحقق سيطرة على قطاع الطلاب بجامعة أسيوط وذلك بإلغاء الأنشطة الاجتماعية والرياضية. وإلغاء الحفلات والتعدى على الطلبة وإثارة الفتنة الطائفية داخل الجامعة واحتجاز عدد من الطلبة المسيحيين!! ونعود لتناقض السادات الذى كان يرعى الجماعات الدينية، ونجده يشارك فى إرساء حجر الأساس لمستشفى مارمرقس(١١/١٠/١٩٧٧) بل ويتبرع له بـ ٥٠ ألف جنيه.. بل وضع حجر الأساس لكنيسة مدينة العاشر من رمضان (مايو ١٩٧٨) وأهداه جائزة السلام التى حصل عليها السادات من كنائس الميثوديست (٩٠ كنيسة من ٤٩ دولة) إلى البابا شنودة فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٨) بل وتبرع لترميم كنيسة طوخ دلكة فى ٢٥/١٢/١٩٧٨ وتبرع بخمسة آلاف دولار لشراء كنيسة للأقباط فى واشنطن عام ١٩٧٩...وللعجب أنه فى التواريخ نفسها أو مقاربة معها نجد مواقف ضد تلك المواقف النبيلة مثل قانون «حد الردة» الذى ظهر فجأة إلى حيز الوجود عام ١٩٧٧ والذى ثارت ضده مجلة الكرازة وكانت المطالب به تنم عن قوة وسطوة التيار الإسلامى المتشدد فى المجتمع. وتعديل الدستور عام ١٩٧٩ حيث نشطت بعض الجماعات الإسلامية المتشددة لتغيير عبارة «الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى من مصادر التشريع» لتكون» الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع»، والذى خلق حالة من الحماس العام لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر؛ مما جعل بعض المحاكم تصدر أحكاماً فى مجال الأحوال الشخصية مخالفة للعقيدة المسيحية، وحالة الأسلمة هذه والتى منها أيضاً صدور قرار من وزارة التعليم لتدريس الثقافة الإسلامية بالجامعة مارس عام ١٩٧٨، تصدت له الكنيسة سواء فى مذكرات كتبها البابا شنودة ونشرت بمجلة الكرازة وانعقاد المؤتمر القبطى بالإسكندرية فى يناير ١٩٧٧ والذى طالب بحرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأسرة والزواج المسيحى، والمساواة وتكافؤ الفرص، وتمثيل المسيحيين فى الهيئات النيابية، والتحذير من الاتجاهات المتطرفة المعادية للمسيحية والمسيحيين وإلغاء مشروع قانون الردة، والعدول عن التفكير فى تطبيق قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية على غير المسلمين، وإلغاء القوانين التى تقيد بناء الكنائس، واستبعاد الطائفية فى تولى وظائف الدولة، وحرية بناء الكنائس، وحرية نشر الفكر والتراث القبطى. كما اجتمع المجمع المقدس برئاسة البابا شنودة فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٧ وناقش

هذه المطالب، وتم اتخاذ قرار بإعلان الصوم الانقطاعى ابتداء من يوم ١٩٧٧/٩/٥ تعبيراً عن رفض مشروع قانون الردة، وعقد السادات اجتماعاً مع أعضاء المجمع المقدس ووعد البابا ببناء ٥٠ كنيسة «وعد لم يتحقق».

ونتيجة العنف المعنوى للمتطرفين المتأسلمين ظهر العنف المادى، وفى أيام السادات نستطيع أن نحصر الحوادث الطائفية فيما يلى:

١- الاعتداء على جمعية النهضة الأرثوذكسية بسنهور(دمنهور) والذى حدث بعد أن طبع البعض ١٠٠ نسخة من تقرير مزعوم تم نسبه للبابا شنودة، والذى يهاجم فيه المسلمين حيث تم إلقاء كرات مشتعلة داخل الجمعية.

٢- حادث اشتعال النار فى دار جمعية الكتاب المقدس بالخانكة فى ٦ نوفمبر ١٩٧٢ والتى كان يتخذها الأقباط ككنيسة بدون ترخيص وتم حرقها، وفى الأحد التالى ١٢ نوفمبر ذهب عدد من القساوسة للصلاة بين الأطلال، وقام المتطرفون بحرق وتخريب عدد من المنازل.

٣- مأساة كنيسة العياط عام ١٩٧٣ والتى منع الإسلاميون المتطرفون بناءها بالهجوم على عمال الحفر وتم وقف العمل فى حفر أساس الكنيسة.

٤- مأساة كنيسة العذراء فى البيطاخ بسوهاج عام ١٩٧٥ حيث هاجمها الغوغاء وكسروا الأبواب والشبابيك وأصيب عدد من الأقباط بجراح شديدة.

٥- هاجم الغوغاء كنيسة المحامدة بنواحى سوهاج، وفتحوا رأس الكاهن القس داود القمص كيرلس، وانتشر الرعب والهلع فى نفوس الأقباط عام ١٩٧٥.

٦- أحداث مماثلة فى كنيسة الملاك بالعوايسة فى سمالوط عام ١٩٧٦.

٧- حادث كنيسة العذراء مريم بقرية منقطين، والتى بنيت بدون ترخيص والتى أغلقها الأمن إرضاء للمتعصبين عام ١٩٧٧.

٨- حادث مدينة التوفيقية بسمالوط عام ١٩٧٨ حيث وقعت فتنة طائفية، وهجوم على بيوت عشرات من الأقباط نتيجة لتراجع قبطى عن الأسلمة.

٩- وفى قرية دويقة بأبو تيج تم قتل القس رويس زاخر كاهن كنيسة القديس يوحنا المعمدان على يد الجماعات الإسلامية عام ١٩٧٨.

١٠- وفى ٢٤ فبراير عام ١٩٧٩ تم إغلاق كنيسة القديس يوحنا المعمدان بقرية الزاوية بأسيوط وذلك بعد هجوم الجماعات المتطرفة عليها، كما حرقت فى نفس العام كنيسة قصرية الريحان والتى حرقها الغوغاء وأتت النار عليها بأكملها.

هذا إلى جانب حوادث الاعتداء على الكنائس والأديرة ومحلات الصاغة والطلبة المسيحيين بالمدن الجامعية ومارست هذه الجماعات اضطهاد الأقباط وضربهم بالجنازير وطردهم من المدن الجامعية.

وبالنسبة لعام ١٩٨٠ الذى يصفه الدكتور ميلاد حنا بالعام الحزين، فيما يتعلق بالوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط، فقد وقعت حوادث طائفية مثل حريق كنيسة مارجرجس بأسبورتنج ليلة عيد الميلاد فى ٧ يناير ١٩٨٠، وفى عام ١٩٨١ وبالتحديد فى شهر يونيه شهدت مصر أسوأ حوادث الفتنة بالزاوية الحمراء حيث أعلن بعض المسلمين حقهم فى قطعة أرض اعتزم الأقباط إقامة كنيسة عليها وتحول الأمر من شجار عادى إلى معركة مسلحة وفى يوم ١٧/٦/١٩٨١ اشتبك المسلمون والمسيحيون فى الزاوية مرة أخرى وتركتهم الدولة ثلاثة أيام. وأسفرت حوادث الزاوية عن ٨١ قتيلاً قبطيًا كما صرح بذلك اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية الأسبق فى حديثه بجريدة الأهرام الدولى. وهم الشهيد القمص مكسيموس جرجس حيث وضعوا السكاكين فى رقبته وطلبوا منه أن ينطق الشهادتين فرفض؛ فذبحوه إلى جانب ٢٠ عائلة ماتت حرقاً. ولا ينكر هنا قيام بعض المسلمين فى الزاوية الحمراء باستضافة الأسر المسيحية فى شققهم لحمايتهم من القتل والحرق والدمار. وفى ٢ أغسطس ١٩٨١ وقع انفجار بكنيسة العذراء مسرة أثناء حفل زفاف راح ضحيته عدد من المسلمين والمسيحيين؛ حيث أصيب ٥٩ شخصاً منهم ١٤ مسلماً وتوفى ٣ من المصابين منهم مسلمان وكان إكليل مارسيل صموئيل ونبيل حبيب.

هذه قراءة سريعة فى دفتر أحوال مصر فى ظل الرئيس أنور السادات، الذى إلى جانب تشجيعه للتيارات المتطرفة فى الجامعات، شجع جانبًا من الإعلام الرسمى للتهكم على عقائد المسيحيين. وتركه لخطباء (مثل الشيخ كشك) يقوم بنفس الدور سواء بالوعظ المباشر أو على أشرطة كاسيت.

والآن كيف وصل الرئيس المؤمن إلى قرارات ١٩٨١؟ يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن السادات فكر فى عزل البابا بعد أحداث الخانكة فى عام ١٩٧٢ عندما بلغه البعض بأن البابا شنودة طلب من الكهنة مسيرة إلى مكان الحريق. ولكن هيكل اقترح على السادات تشكيل لجنة من مجلس الشعب لتقديم تقرير عن الحادث وهو التقرير الذى برأ البابا وفى سبتمبر ١٩٧٧ فكر السادات فى عزل البابا أيضاً - كما يروى موسى صبرى- وذلك رداً على قرار البابا بالصوم الانقطاعى، كى يبطل الرب قوانين الردة وأرسل البابا رسالة إلى السادات شرح له فيها كيف يصلى الأقباط من أجله فى كل قداس وأنهم يضعون متاعبهم بين أيديه. كما فكر السادات فى عزل البابا، عندما رفض تقبل التهنئة الرسمية

بعيد القيامة فى ٢٦ مارس ١٩٨٠ حيث ألقى السادات خطاباً فى مجلس الشعب ١٤ مايو ١٩٨٠ قائلاً: إن لديه معلومات عن مطامع سياسية للبابا شنودة؛ فهو يريد أن يكون زعيماً سياسياً ويعمل من أجل قيام دولة للأقباط فى أسيوط، وأن هناك أقباطاً يحاربون فى لبنان. وبعدها طلب البابا من الجموع التى ذهلت من الخطاب وذهبت للكاتدرائية الهدوء وتسليم الأمور لله. وأخيراً فى سبتمبر ١٩٨١ وذلك بعد عودة السادات من زيارة أمريكا فى أغسطس، حيث قامت ضده مظاهرات من أقباط المهجر كما تم نشر إعلان بمساحة نصف صفحة فى الواشنطن بوست والنيويورك تايمز عبر الأقباط فيها عن المضايقات التى يلقاها الأقباط فى مصر حيث كانت الزيارة بعد أحداث الزاوية الحمراء. مما جعل السادات يعجِّل بقرار عزل البابا فى قرارات سبتمبر السوداء التى قرر فيها اعتقال قائمة من سياسيين وكتاب ورجال دين بلغ عددهم «١٥٣٦» وقد مثلوا جميع الاتجاهات؛ حيث أصدر قراراً بإلغاء قراره بتعيين البابا شنودة بابا للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وتشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية من خمسة أساقفة هم: الأنبا مكسيموس (أسقف القليوبية) والأنبا صموئيل (أسقف الخدمات العامة) والأنبا غريغوريوس (أسقف البحث العلمى) والأنبا أثناسيوس (أسقف بنى سويف) والأنبا يوأنس (أسقف الغربية).

وشملت قرارات التحفظ على ٨ أساقفة بسجن المرج وهم:

الأنبا أمونيوس (الأقصر) (زنزانة رقم٣)، الأنبا بموا رقم (كان وقتها خورى أبسكوبس دير الرزيقات)(زنزانة رقم٣)، الأنبا بنيامين (المنوفية) (زنزانة رقم٦)، الأنبا بيشوى (دمياط)(زنزانة رقم١)، الأنبا بيمن (ملوى) (زنزانة رقم٢٣)، الأنبا تادرس (بورسعيد) زنزانة رقم٢٢)، الأنبا فام (طما) (زنزانة رقم٦)، الأنبا ويصا (البلينا)(زنزانة رقم ٢٣).

و٢٤ قسيساً هم:

القمص إبراهيم عبده (القاهرة)، القس أثناسيوس بطرس (القاهرة)، القمص إفرايم ميخائيل (طما)، القمص باسيليوس سدراك (المنيا)، القمص بولس باسيلى (القاهرة)، القمص بيشوى لمعى (جرجا)، القمص بيشوى يسى (مصر الجديدة)، القمص بيشوى فخرى (بورسعيد)، القمص تادرس يعقوب (الإسكندرية)، القمص عبد المسيح (الإسكندرية)، القمص داود بولس (صدفا)، القمص تيموثاوس (سوهاج)، القمص زكريا بطرس (مصر الجديدة)، القمص عبد المسيح يوسف (طهطا)، القمص عبد الملاك رياض (سوهاج)، القمص فليمون سمعان(طهطا)، القمص فيلبس وفقى (الفيوم)، القمص لوقا سدراك (الإسكندرية)، القمص مكسيموس مشرقى (المراغة)، القمص موسى عيسى (الدويرات)، القمص يوسف أسعد (الجيزة)، القمص يوسف كامل (أسيوط)، القمص صرابامون عبده (إمبابة)، و٢٤من

العلمانيين الأقباط منهم الخادم عبد المسيح بسيط أبو الخير وأيضاً مصادرة عدد من الصحف منها الكرازة ووطنى، وذلك بتهمة التعصب وتعريض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى للخطر، كما اتهم البابا بالحض على كراهية النظام القائم، وإضفاء الصبغة السياسية على منصب البطريرك واستغلاله الدين لتحقيق أهداف سياسية.

ويلاحظ أن الاتهام بممارسة السياسة كان لرفض البابا زيارة القدس، فبعد توقيع اتفاقية السلام استدعى السادات البابا شنودة فى منزله فى فبراير ١٩٧٨ وحاول إثناءه عن موقفه المتشدد السماح بزيارة الأقباط للقدس، ولكن البابا أكد أن الأقباط لن يزوروا القدس إلا مع إخوانهم العرب المسلمين. وحول رأى البابا فى هذا الموضوع قال للكاتب الصحفى محمود فوزى: أنا لا أعرف ماذا كان يدور فى داخله، ربما ترك هذا الأمر عنده أثراً، ربما أيضاً ما حدث من أبنائنا فى الخارج من مظاهرات ترك أثراً آخر ولكن المهاجرين فى الخارج لهم حريتهم فى التعبير عن مشاعرهم وتعودوا على جوٍّ من الحرية هناك، فهم يستطيعون الاحتجاج على رئيس الجمهورية فى أمريكا... وعندما يلوم السادات البابا شنودة على بعض تصرفات الأقباط فى الخارج كأنه بهذا يعطيه صلاحيات سياسية لإدارة أناس فى الخارج، بينما هو يلوم عليه بالتدخل فى السياسة.

وحول سؤال الكاتب عبد اللطيف المناوى البابا شنودة لماذا كل هذا العداء بين السادات وبينك؟ قال البابا : أنا لا أعرف من ناحيتى شخصياً أنا لا أعاديه، ولكن ربما أراد أن أسكت عن كل ما يحدث للأقباط حينما تسأل لماذا هذا العداء بين السادات وبينى تسأل أيضاً لماذا هذا العداء بين السادات وبين كل القيادات فى عصره؟ فلو كان عداء بينى وبينه فقط ربما له أسباب معينة لكن إذا كان عادى الكل فى عصره، القيادات الإسلامية والأحزاب السياسية، والصحفيين وأساتذة الجامعة..أنا جزء من نسيج واسع من العداءات. وسأل الكاتب عبد اللطيف البابا حول تعبير محمد حسنين هيكل بأن هناك درجة أو شكلاً من أشكال التشابه بين الرئيس السادات والبابا شنودة؛ كلاهما لديه الإحساس بذاته، وكان طبيعياً أن يصطدم الذاتان. أجاب البابا قائلاً: المسألة يا أخى ليست إحساساً بالذات، أنا كنت أمثل مجموعة من الناس، ولا أمثل ذاتى، ولم يكن بينى وبينه شىء ذاتى. أنا أمثل مجموعة من الناس أشعر بحرج أمام ضميرى إن كانوا يعانون وأنا لا أدافع عنهم.

وبعد صدور قرارات سبتمبر الأسود هللت الصحف القومية للرئيس السادات واعتبرتها ثورة جديدة للعمل الداخلى، ووصفها الكاتب موسى صبرى فى مقاله الافتتاحى بالأخبار (٨ سبتمبر ١٩٨١) بأنها « أخطر من قرار أكتوبر» وأشاد إبراهيم نافع فى مقاله بالأهرام (٩ سبتمبر ١٩٨١) بأهمية القرار متسائلاً. هل تأخر السادات فى قراراته وإجراءاته؟ وانهمر

سيل التأييد فى الداخل بالمقال والكاريكاتير والهتافات والتصفيق. ولم ينتبه المهللون أن هذا القرار كان هو القرار الأخير للسادات الذى اغتيل فى ٦ أكتوبر وبعد ٣٠ يوماً من قراره على يد الجماعات الدينية التى وضع كل آماله عليها؛ لكى تحميه من المؤامرات التى نسجها فى خياله فدمرته.

ونعود لتناقض السادات الذى برر قرارات سبتمبر؛ بوصفها نابعة عن ديمقراطية، ولكنها ديموقراطية من ابتكاره هو فقط، ديموقراطية لها أنياب!

صفحات من ذكريات التحفظ

مدخل من الشعر

أحبك يا وطنى

ضقت على ملامحىَ فصرت فى قلبى
وكنت لى عقوبة وإننى لم أقترف سواك من ذنب
لعنتنى واسمك كان سبتى فى لغة السب
ضربتنى وكنت أنت ضاربى...وموضع الضرب
طردتنى فكنت أنت خطوتى وكنت لى دربى
وعندما صلبانى أصبحت فى حبى
معجزة حين هوى قلبى... فدى قلبى
يا قاتلى سامحك الله على صلبى
يا قاتلى كفاك أن تقتلنى من شدة الحب

الشاعر أحمد مطر

البابا شنودة الثالث- أيام التحفظ...للوجود مع الله

- كتب ١٦ كتاباً
- كيف كان قداسته يرفع الطمى مع عمال الدير
-حوار من داخل الدير
- اليوم الأول لعودة البابا

وحول ذكريات البابا شنودة فى فترة الإقامة بالدير، قال قداسته للكاتب الصحفى محمود فوزى «كتاب حوار محظور النشر» صفحة ٦٨ ما يلى:

«إننى بطبيعتى أحب الدير وحياة الهدوء والسكون، وحينما سرت راهباً لم يدر بخلدى إطلاقاً أننى سأنزل مرة أخرى، لأتولى عملاً فى العالم، وكنت أود أن أنمو فى حياة الوحدة؛ لكى أصل إلى أعماقها. والرهبنة كما أعرفها هى انحلال من الكل للارتباط بالواحد.. والواحد هو الله، وأتذكر آخر قصيدة كتبتها وأنا فى طريقى إلى الدير، وهى تأمل فى درجة من درجات الرهبنة، وهى درجة السواح، الذين يعيشون تائهين فى البرارى والقفار الذين لا يعرفون أين هم، ولا يعرف العالم عنهم شيئاً؛ فيتفرغون كلية إلى الله وقد قلت فى هذه القصيدة:

أنا فى البيداء وحدى وليس لى شأن بغيرى
لى جحر فى شقوق التل قد أخفيت جحرى
وسأمضى منه يوماً ساكناً ما لست أدرى
تائهاً أجتاز فى البيداء من قفر لقفر
ليس لى دير فكل البيداء والآكام ديرى
لا ولا سور فلم يرتاح للأسوار فكرى
أنا طير فى الجو لم أشغف بوكرى
أنا فى الدنيا طليق فى إقامتى وسيرى

فكنت أهدف إلى حياة من هذا النوع يعيش فيها الإنسان فى وحدة مطلقة وفى صلة كاملة بالله، ولكن لم يسمح الله لى بهذه الحياة؛ فحينما سمح لى الرئيس السادات بأن

أقضى الأربعين شهراً فى الدير كانت فرصة جميلة لى، رجعت فيها إلى حالة الهدوء، ولو على الرغم منى، ولكنى كنت أشعر بلذتها، وقد أثمرت هذه الفترة عن نشر ١٦ كتاباً لى فكانت فترة هدوء وتحصيل وإنتاج فكرى، وأنا باستمرار لا أحاول أن تكون المشكلات داخلى، بل تقف خارجاً. ورأى أن الإنسان ينبغى أن يحتفظ بسلامة القلب وألا يسمح بالمشكلات أن تغلبه أو تنتصر عليه، بل هو ينتصر عليها بالإيمان، بالهدوء، بالتسليم إلى الله، بالاستفادة من المشكلة إلى آخر الطرق الروحية. وأحياناً كنت أقول للناس فى تعريف الضيقة؛ سميت بالضيقة لأن القلب قد ضاق لأن يتسع لها، فالضيق هو فى القلب وليس فى السبب الخارجى. أما إذا اتسع القلب فلا تكون هناك ضيقة أبداً... ألفت ١٦ كتاباً جديداً ولم تكن العزلة تتعبنى لأننى راهب.. أحب حياة الوحدة والهدوء، وأنا دائماً أحصل على سلامى الداخلى من الداخل وليس من الظروف الخارجية؛ فاعتبرت نفسى أننى عدت إلى حياة الوحدة التى ترهبنت من أجلها، وكان كل الذين يقابلوننى لا يجدون منى إلا وجهاً مبتسماً بشوشاً، يهدى حتى المتعبين منهم».

أما الـ ١٦ كتاباً التى قام البابا بتأليفها فى تلك الفترة فهى:

١- الله...وكفى

٢- الوجود مع الله

٣- يستجيب لك الرب

٤- تأملات فى خميس العهد

٥- تأملات فى الجمعة العظيمة

٦- اليقظة الروحية

٧- السهر الروحى

٨- الرجوع إلى الله

٩- سنوات مع أسئلة الناس (الجزء الأول)

١٠- كيف نبدأ عاماً جديداً

١١- من وحى الميلاد

١٢- روحانية الصوم

١٣- حياة التوبة والنقاوة

١٤- سنوات مع أسئلة الناس

١٥- حياة الإيمان

١٦- حروب الشياطين

ويروى نيافة الأنبا بيسنتى أسقف حلوان والمعصرة، والذى كان سكرتيراً لقداسة البابا فى هذه الفترة (من يناير ١٩٨١ وحتى رسامته أسقفاً عام ١٩٨٦.. فى كتاب حصاد السنين «الجزء الأول صفحة ٤٨») أنه فى فترة التحفظ ٥ سبتمبر ١٩٨١ إلى ٥ يناير ١٩٨٥ كان قداسته يرفع مع العامل (مقطف) الطمى لكى يحمله العامل على كتفه، لكى يضعه فى (جورة) فى أرض الدير؛ لكى تكون صالحة لزراعة شتلة من الأشجار فى تواضع وبساطة، وأحياناً فى أثناء العمل بالدير فى هذه الفترة مع العمال أجده جالساً فى الحقل على التراب فأقول لقداسته أحضر لكم كرسيًّا؛ فيرد علىَّ بقوله «نحن تراب وجالسين على تراب» وقد كان فى هذه الفترة يعطى دروساً روحية بنفسه للعمال الفلاحين البسطاء وكان يقول فى فترة التحفظ بالدير «الله أراد لنا أن نخدم فى وسط الناس نشكر ربنا... الآن يريد أن نخدم من داخل أسوار الدير أيضاً نشكر ربنا». وكان كثيراً ما يقول فى هذه الفترة رداً على الزائرين الذين كانوا يزورون قداسته وكانوا متأثرين لتحديد إقامته بالدير «إنسان محبوس فى الجنة.. هل يوجد أفضل من ذلك» وبهذا كان يقوى ويعزى ويفرح كل من يأتى إليه.. حيث كان من ثمرة هذا الإيمان القوى حياة التسليم والسلام والفرح... ويذكرنى بما قاله القديس أثناسيوس الرسولى عن القديس العظيم الأنبا أنطونيوس «من يرى أنطونيوس ويكون مضطرباً إلا ويعود مملوءًا بالسلام... ومن يرى أنطونيوس ويكون محبًا للأرضيات إلا ويعود محباً لله وللسماويات» ويضيف الأنبا بيسنتى قائلاً : «كم رأيت آباء مطارنة وأساقفة يزورون قداسته فى هذه الفترة وهم باكون وحزانى لكنه بإيمانه القوى وروحه المرحة، يقدر أن يجعلهم فرحين، وتظهر عليهم الراحة والاطمئنان، وقد استثمر قداسته فترة التحفظ فى أعمال نافعة للوطن...كم كتب رسائل لأبناء الكنيسة بالمهجر؛ لكى يوصيهم بحسن استقبال الرئيس محمد حسنى مبارك... ونافعة للكنيسة فكم كتب كتباً عميقة تعد مرجعاً للكنيسة الآن مثل كتاب «حياة التوبة والنقاوة». وأيضاً «حياة الإيمان» وكتب أخرى. وكذلك كانت فترة عمق روحى للرهبان حيث كان قداسته يعطى محاضرات روحية عميقة للرهبان...كذلك الإنشاءات المعمارية الجديدة فى دير الأنبا بيشوى وأعمال الزراعة إلى جانب إدارته للكنيسة وتدبيرها من داخل الدير.

وقد انفرد الكاتب الكبير مكرم محمد أحمد بلقاء البابا شنودة فى الدير وأجري معه حواراً مهمًا من داخل الأزمة، نشر تحت عنوان لقاء مثير مع «المصور» وذلك (بمجلة المصور العدد ٣١٠٣ بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٨٤) وجاء في مقدمة الحوار:

"البابا شنودة... عزلة لن تطول"

فليغفر لى قداسة البابا شنودة فى عزلته الراهنة التى أثق أنها لن تطول... إن قلت اليوم إن قضيته لا ينبغى أن تكون جزءاً من لعبة الانتخابات الدائرة على أشدها الآن، بحثاً عن الأصوات التى ولو كانت على حساب المبادئ، حتى ولو كان الطريق إليها تحالفات خاطئة غير صحيحة!.

وليغفر لى أهلى من أقباط مصر صراحة القول إن قلت اليوم إنه ليس هناك ما يستوجب الإحساس بالإحباط أو شىء منه، لأن الريح القادمة مع الوفد الجديد جاءت أخيراً بغير ما تشتهى السفن! أو لأن الصديق الذى ارتجاه البعض قد انتكب طريقه القديم، وغير الأفراس وملأ العربة بغير ركابها الأصليين.

وليغفر لى الجميع صراحة القول إن قلت اليوم إن الوحدة الوطنية تعلو على أن تكون مهمة حزب بعينه، كان فى الحكم أم فى المعارضة؛ فالوحدة الوطنية ينبغى أن تكون جهد المصريين جميعاً مسلمين وأقباطاً. معارضة وحكماً... هى أمانة فى أعناقنا لا ينبغى أن نهبط بها إلى حد أن تكون جزءاً من المعترك الانتخابى القادم، أمانة تنبع من إحساس عريق وقديم بأنها الوجود وهى المصير... لأننا سوف نبقى معاً على هذه الأرض الطيبة إلى يوم الساعة. يجمعنا ثراها ويؤلف بين قلوبنا حبها الكبير... ولأن ما انطبع عبر حياتنا المشتركة والعميق على أرض هذا الوطن، أقوى بكثير من أن تبدده موجة طارئة من فتنة دخيلة أذكاها التطرف، وألهبها سوء التقدير.

ما انطبع فى أذهاننا دائماً كان علاقات الود والتآلف العميقين التى صاغت وحدتنا الوطنية سبيكة مصرية خالصة، ثم دماؤنا المشتركة التى سكبناها معاً على رمال مصر، وفوق سواحلها، ونحن نصد عن مصرنا الواحدة غزو الروم والفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين... نهتف معاً فوق أطلال بارليف صرخة نصر واحدة: **الله** أكبر؛ لأنه هو

الله، إيماننا المشترك، ولأنه هو الله وجهة قلوبنا جميعاً، وإن ولّينا وجوهنا كمسلمين شطر المسجد الحرام، أو ولّينا وجوهنا كأقباط شطر القدس مدينة الله ومجمع رسالاته الثلاث.

ذكرنى البابا شنودة حين لقيته بالأمس فى عزلته الراهنة فى دير بيشوى، بلقاءات ثلاثة سابقة جرت بيننا وكان محورها جميعاً أبعاد الفتنة الطائفية فى مصر، كان لقاؤنا الأول فى مقره البابوى فى كاتدرائية مارمرقص بالعباسية قبل أسبوعين فقط من إجراءات سبتمبر عام ٨١.

كان الوطن يكفهر غضباً وشكو كاً وكان ضيق صدر الجميع قد قطع جسور الحوار بين الجميع، وكانت الفتنة الطائفية قد استحالت إلى موجة مخيفة يذكيها تحريض الخارج، ونفاد صبر الداخل، وهوس جماعات المتطرفين على الجانبين، وإذا الفتن الصغيرة التى كانت تطفح فى بداية السبعينيات بثوراً على الجسد المصرى تستحيل إلى صدامات متكررة متصاعدة.

كان يكفى أن يقوم شجار عادى من مشاجرات النهار والزحام والعمل، شجار من ألف شجار يكون طرفيه بالصدفة مواطن مسلم ومواطن مسيحى، حتى تشتعل الفتنة حريقاً... وذلك بالضبط ما حدث فى الزاوية الحمراء، عندما بدأ الأمر كله بشجار بين أسرتين تسكنان منزلاً واحداً، لكن العواطف المشحونة والمغذاة صنعت من هذا الشجار تلك الصورة الأليمة.

فى كل حوادث الفتنة كنا نرى العديد من المنشورات المجهولة الأصل والهوية تصدر عن أفراد غير معلومين، أو تصدر باسم جماعات وهمية الاسم، تسبق الفتنة إلى المكان المختار لها... حدث ذلك فى الخانكة وفى الزاوية الحمراء، وفى دير الملاك وفى روض الفرج... منشورات مجهولة الأصل والهوية، تنشر الشائعة وتحض على التربص وتقسيم وحدة الوطن، وتروج لوقائع مشوهة، وحقائق مغلوطة؛ سعياً إلى الوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها حتى أصبح المناخ كله محاطاً بالشكوك والريبة.

فى غضون تلك الأيام الثقيلة جرى اللقاء الأول مع البابا شنودة فى مقره البابوى، أذكر أننى قلت له يومها:

قداسة البابا إن كنت تريد صراحتى فإننى أرى أن موقفك يوم عيد القيامة الماضى لم يسهم فى خلق مناخ الاطمئنان لدى أقباط مصر، لقد منعت العيد عن بيوت المسيحيين استجابة لحادث فردى أنت تدرك دوافعه، وتعرف موقف الدولة منه، لقد منعت البسمة عن

الأطفال المسيحيين يوم عيدهم، ومنعت الأجراس عن أن تدق، وربما لأول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية جرى مثل هذا الشيء، لقد جعلت القضية بهذا التصرف قضية الكنيسة والدولة، وهى لم تكن بالقطع كذلك؛ لأن القضية كانت مع المتطرفين على الجانبين.

يومها قال الرجل: حاشا لله أن أكون قد رأيت شيئاً من ذلك، لقد زارنى الرئيس السادات هنا مرتين ووضع حجر الأساس لمستشفى مارمرقص فى هذه الكاتدرائية الكبيرة التى بنيت بمعونة أساسية من الدولة. لقد صلينا معاً فى هذا المكان صلى هو فى هذه القاعة مع مرافقيه وصلينا فى الغرفة المجاورة، وصلينا معاً على أرض العريش.

قلت له قداسة البابا : إذا كان الأمر كذلك، فما كان ينبغى لك أن تأمر بإطفاء شموع الكنيسة أو قناديلها فى يوم عيد.

قال البابا: لم يكن قرارى وحده، كان قرار المجمع المقدس؛ لأن النفوس كانت مشحونة بالألم والغضب، بعد أن تكررت حوادث الاعتداء على عدد من الكنائس، كنا نستشعر أن هؤلاء الذين يريدون الوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها لابد وأن يكونوا تحت طائلة القانون أقباطاً كانوا أم مسلمين... ومع ذلك فاستعدادى قائم لأن أناقش هذا القرار، إننى أقبل النقاش وأقبل التصارح.

سألته: كيف تنظر إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة؟

رد قائلاً: ليس للكنيسة أن تقحم نفسها فى قضايا السياسة، فالسياسة قضية الدولة، أما رعاية الدين فهى مهمة الكنيسة.

قلت له: قداسة البابا سوف أكون على صراحتى المعهودة معك، ينبغى أن تكون الكنيسة أيضاً فوق محاولات بعض جماعات الضغط الذين يؤرقهم أن العشرة الأوائل فى كليات الطب ما عادوا جميعاً من أبناء الطائفة، والذين يؤرقهم أن فرصة إحدى البعثات المسافرة إلى الخارج لم تكن من نصيب زميل لهم. وأحسب أن تلك الجماعات خصوصاً المهاجرين هم أقوى جماعات الضغط على الكنيسة الآن رغم أن الغالبية العظمى من أقباط مصر تعرف حقاً أن لا وجود لأى تمييز طائفى فى مصر، بل لعل القدرة الاقتصادية لأقباط مصر تفوق بحساب النسبة، القدرة الاقتصادية لباقى المجموع المصرى، وقس على ذلك توزيع المهن الأساسية والحاكمة.

قال البابا: ليس فى وسع أحد أن يشكو من التمييز الطائفى، وإذا كانت هناك بعض حالات فردية، فربما يكون للكنيسة أن تنقل إلى الدولة بعض ملاحظات رعاياها.

كان الحوار صريحاً بيننا

يومها قال الرجل: ماذا أقول؟ إن هناك من يسعون بالشائعة إلى خلق الفتنة وهناك من يسعون دائماً إلى تصوير غير صحيح لموقفى.

إننى أعيد نشر الحوار؛ لأنه يعكس فى جوانب عديدة منه كيف كان المناخ فى مصر قبل سبتمبر ٨١ وكيف كانت الشكوك تزداد يوماً وراء يوم فى بلد استوعبت السماحة كل تاريخه.

مرة ثانية لقيت البابا شنودة كان قبل ١٠ أشهر فقط، كان فى عزلته فى دير بيشوى أمضيت معه نهاراً بأكمله، كان أكثر تفاؤلاً، وكان أكثر راحة، كان يستقبل زواره بأى أعداد؛ أبناء طائفته القادمين من الخارج أو من الداخل، ممثلى الكنائس العالمية، المطارنة والأساقفة، أعضاء اللجنة الخماسية التى كانت تشاركه إدارة الكنيسة.

كان البابا قد تلقى بوصفه بابا الكرازة المرقسية برقية من الرئيس مبارك يهنئه فيها بعيد القيامة، وكانت البرقة بهذا المعنى تعنى تأكيداً من جانب الدولة على احترامها الكامل لوظيفة البابا الدينية التى لا تنقطع إلا بالوفاة، لكن البرقية كانت تعنى فوق ذلك مبادرة من الرئيس مبارك مغزاها السماحة، وحرصه الأكيد على تغيير هذا المناخ الذى لبد سماء مصر بالشكوك.

يومها بادرني البابا قائلاً: ما أكثر ما اختلفت مصر فى عصر مبارك إننى أكثر تفاؤلاً، إنه يحمل قدراً من الحكمة سوف يساعده على أن يعيد لمصر صفاءها، إن أكثر ما يشدنى إليه حسن اختياره للكلمات ووضوح قصده وتطابق أفعاله مع أقواله.

تناقشنا طويلاً فى هذه الزيارة، كان مجلس الدولة ينظر قضية مرفوعة من بعض أصدقاء البابا يطالبون بعودته إلى مسئولياته فى إدارة الكنيسة دون اللجنة الخماسية.

أذكر أننى سألته يومها: قداسة البابا ماذا يدفعك إلى أن تستمر فى هذه القضية، إنه من الصعب أن أتصور أن تقوم العلاقة بين الدولة والكنيسة على سند من حكم قضائى مع احترامى الكامل للقضاء.

إن أقباط مصر جزء من نسيجها، وينبغى أن يكون التآلف كما كان دائماً على أساس المودة والإحساس العميق بأن ثرى هذا الوطن وترابه سوف يجمعنا معاً إلى يوم الدين، إننى لا أعتقد أن حكماً قضائياً يمكن أن يعيد الأمور إلى نصابها، ما يعيد الأمور إلى نصابها قدرتنا المشتركة على الحوار المفتوح، وإدراكنا المتكامل لعمق الإخوة الوطنية التى ربما تسبق أية أخوة أخرى، ولو أنه لم يكن فى مصر هذا الإحساس العميق بمعنى الوطن ولو أن

مصر لم تعلمنا جميعاً أقباطاً ومسلمين معنى السماحة لكنا الآن فى وضع أشبه ما يكون بلبنان.

يومها قال البابا لقد أمضيت فى هذا الدير راهباً ما يزيد على ١٠ سنوات أقرأ وأكتب وأنسخ الأناجيل، وأنا أحب هذا المكان، وبوسعى أن أبقى فيه عاماً أو عامين وليس لدى إلحاح على عودة قريبة، إلا أن تصفو مصر وتصفو النفوس؛ إننى لا أتعجل الخروج من عزلتى الراهنة إلا أن نكون جميعاً مسلمين وأقباطاً كما كنا دائماً متحابين، ولست أعتقد أن هذا اليوم ببعيد لأن روح السماحة تعود الآن لتشرق على مصر من جديد. ألم أقل لك فى بداية لقائنا إننا أكثر تفاؤلاً.

فى ذاك النهار أكلنا أرزاً أبيض، واقتسمنا مع اثنين من تلاميذه الرهبان فطيراً وخبزاً شمسياً ودجاجة، ثم صحبنى فى سيارته داخل مزرعة الدير إلى جولة؛ لكى أرى جهد الرهبان وهم يزرعون فلاة وادى النطرون.

قبل أن أنصرف وكان الليل قد خيم على المكان الهادئ، قال الرجل: مازلت أفكر فيما قلته حول قضية مجلس الدولة، وربما تكون المشكلة فى هؤلاء الأصدقاء الذين رفعوا القضية ورددت قائلاً: سوف نعود مرة أخرى إلى حكاية جماعات الضغط.

وضحك البابا شنودة من أعماقه وهو يرد: يكفينى طمأنينة هذا المناخ الذى تعيشه مصر الآن.

أمس كان لقائى الثالث معه، كان يجلس وسط رهبانه، وكان أكثر وداً وأشد تفاؤلاً، وكان قد استعاد قدرته على الخروج من الموعظة؛ ليلتقط مفارقة ذكية تثير ضحك الحاضرين... حدثنى طويلاً عن سماحة الإسلام مباهياً بآيات القرآن التى يحفظها.

قلت له: يبدو أن ثمة حواراً متصلاً مع الرئيس مبارك. هذا ما قالته صحيفة السياسة الكويتية نقلاً عن حديث أخير للرئيس.

قال البابا: قبل شهر واحد سألنى نفس السؤال قس أمريكى وأظنه أرمسترونج ممثل الكنائس الأمريكية. كان فى زيارة لى وكان الرئيس قد أعلن فى حديثه أننا على اتصال مستمر مع البابا شنودة والمسألة فقط مسألة توقيت.

عندما سألنى القس أرمسترونج عن وقع هذا التصريح على نفسى قلت له: أنا واثق فى نهاية قريبة لهذه العزلة، ولكننى على استعداد لأن أبقى هنا أمداً أطول. المهم أن تصفو مصر... ومصر تصفو الآن يوماً عن يوم، لقد حلت الطمأنينة على شعب مصر مسلمين وأقباطاً، ولم نعد نسمع الآن عن مواجهة أو فتنة أو حريق فى كنيسة، أو مؤامرة لنسف

جامع إن مصر تعيش فى ظل مبارك مناخاً مختلفاً، وصدقنى إذا قلت لك إننى أعتبر توليه أمر مصر فى الظروف التى تولى فيها نوعاً من التضحية التى لا ينبغى إنكارها. إننا نشكره أولاً: لأنه قبل الحكم فى هذه الفترة العصيبة، ولأنه سار بالسفينة عبر الأمواج المضطربة حتى خرج بها فى هدوء رباناً عاقلاً إلى شاطئ الأمان، نشكر الرب أن أعطاه الحكمة والحذر وهدوء الأعصاب، ونشكره هو على عواطفه التى يبديها دائماً تجاه الكنيسة، ونطلب فى صلواتنا أن يعطيه الرب المزيد من القوة.

قلت له ولكن يبدو أن هناك من لا يعرفون حقيقة ما يجرى، ويصرون على أن تبقى عزلة البابا قضية خصام مع الحكم على صفحات المعارضة.

قال البابا مع عزوفى الكامل عن أى حديث ذى طبيعة سياسية، فإننى أقول لك أنا لا أصدق أن هناك حزباً يمكن أن يحتكر لنفسه قضية الوحدة الوطنية. الوحدة الوطنية ليست مسئولية حزب، ولكنها مسئوليتنا جميعاً كمصريين، هى عمل كل مصرى كان فى الحكم أم كان فى المعارضة؛ أنا لا أصدق أيضاً أنه يوجد فى مصر الآن من قريب أو من بعيد من لا يعمل من أجل وحدتها الوطنية. حراس الوحدة الوطنية وحماتها هم المصريون جميعاً ورمزها الأكيد هو رئيس الدولة الذى يخطو بثبات تجاه لم شمل مصر مرة أخرى.

أود أن أقول لك إن الادعاء بوجود صلة بين الكنيسة ورعيتها وحزب ما، ليس صحيحاً أن واجب الكنيسة أن تبقى فوق الحزبية، وعليها مسئولية العمل بكل ما تستطيع من أجل الوحدة الوطنية، ومن أجل تعزيز علاقات المحبة والإخوة مع المسلمين، وأن تعمل بكل جهد من أجل قضايا الوطن؛ حتى يعود للقلوب ائتلافها الراسخ والعميق.

أود أن أقول أيضاً إن الكنيسة لن تضم الأحزاب، ولن تنضم إليها، ولكنها تدين بالولاء لرئيس الدولة؛ لأنه رمز وحدتها الذى نصلى من أجله، ونذكره فى كل صلواتنا الرسمية، ونباركه فى سفره وفى إيابه، وهو يستحق منا كل ذلك؛ لأنه أعاد لمصر الصفاء.

كما كتب البابا شنودة لمجلة المصور مقالاً خصيصًا من داخل الدير

نشر بمجلة المصور العدد ٣١٠٦ بتاريخ ٢٠ إبريل ١٩٨٤ تحت عنوان:

"للناس المحبة ولمصر الخير"

ما أعجب مصر من وطن، وهل من شعب يتباهى بوطن كمصر. مصر التى تباركت بزيارة المسيح له المجد والعذراء مريم ويوسف الصديق، ومن قبل أبونا إبراهيم أبو الأنبياء.

مصر هذه نتعلق كلنا بخيرها قبل كل شيء، إنها ترتفع فوق الكل لأن مصلحتها هى مصلحة الكل، وعلينا أن نبذل كل ما فى وسعنا من أجل سلامها وأمنها ووحدتها ورخائها.

من أجل مصر يجب أن نتحد كلنا قلباً واحداً، ويداً واحدة، وعلى قدر إمكاننا تكون بالتفاهم والحوار فكراً واحداً.

تهنئة من أعماق قلبى أقدمها للجميع، فى عيد قيامة السيد المسيح، له المجد جعله الله عيداً سعيداً مباركاً على بلادنا المحبوبة مصر، وعلى البشرية جمعاء.

لقد قام المسيح من بين الأموات وصعد إلى السماء، وكان فى قيامته باكورة للراقدين، وعلى مثاله سيقوم جميع البشر فى اليوم الأخير.

ولا شك أن للقيامة شكلها المفرح، لأنها بشرى بالانتصار على الموت، وبشرى بالحياة السعيدة فى الأبدية التى لا تنتهى، حيث يعيش الأبرار فى حياة جديدة لها طابع روحى فى عشرة الله وملائكته وقديسيه، حياة أسمى من أن توصف قال عنها الإنجيل المقدس: ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله لمحبى اسمه القدوس.

ومع الأفراح بالقيامة لا ننسى أن البشر يقومون، لكى يقدموا حساباً عن أعمالهم خيراً كانت أم شراً.

فمع القيامة تكون الدينونة العامة التى فيها يتحدد المصير الأبدى لكل إنسان، وهنا نتذكر أن حياتنا على الأرض هى مجرد فترة اختبار لإرادة الإنسان، عليه فيها أن يستعد لأبديته.

لذلك سعيد من عاش ههنا على الأرض ،يعمل خيراً يلقاه هناك.

لقد وهبنا الله هذه الحياة، لكى نصنع فيها خيراً.

وبهذا الخير نؤهل لتلك الأبدية السعيدة التى تتضاءل أمامها كل متع الأرض، ورغباتها وشهواتها، وكل ما فيها من حب للذات، واللذات ومحاولى تكبير الإنسان لنفسه بأنواع وطرق شتى.

الخير هو بذل يقدمه محب الخير للآخرين، بكل ما عنده من نية، ومن إمكانية، هو بذل للذات أولاً قبل أن يكون بذلاً لما تملكه هذه الذات...

إننا حينما نتذكر القيامة لابد أن نسأل أنفسنا: ما هو الخير الذى صنعناه، والذى لا يخجل وجوهنا أمام الله فى يوم القيامة الرهيب؟.

وليس المقصود بالخير، معناه السلبى، من حيث عدم الإضرار بالآخرين.

إنما الخير قبل كل شيء له طابعه الإيجابى الفعال الذى يترجم ذاته إلى أعمال نفع يقدمها للآخرين، ليس صنع الخير إذن أن تصنع خيراً لذاتك، أو لمجموعة معينة تحيط بك...

إنما الخير هو عطاء دائم، تقدمه لكل أحد بمشاعر الحب.

وفى هذا يقول الإنجيل «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» والخيرون –أفراداً كانوا أم جماعات– هم الذين يعطون باستمرار، ولكل أحد، كل ما يملكون من خير. هؤلاء وضع لهم السيد المسيح مثالاً إذ قيل عنه إنه «كان يجول يصنع خيراً».

كان يعطى باستمرار لكل من يتصل به، للجميع بلا استثناء حتى للذين كانوا يعادونه أو يقاومونه كان حباً متجسداً. كان حباً على مستوى عملى. يجول وسط الناس «يكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض، وكل ضعف فى الشعب».

ولم يعلمنا أن الخطية فقط هى عمل الشر، إنما قيل فى الإنجيل «كل من يعرف أن يعمل حسناً ولا يفعل، فتلك خطية له».

الذى يسلك هكذا عليه أن يتعلم الحب أولاً يتدرب كيف يحب الغير، ويحب الخير وهكذا يفعل الخير، لا عن اضطرار، ولا لمجرد المسئولية، ولا خوفاً من عقوبة، إنما يفعل الخير لأن محبة الخير تملأ قلبه، وتجرى فى عروقه مع دمائه فهو لا يستطيع ألا يفعل خيراً.

عمل الخير غذاء للروح يفرح قلب الإنسان الخير، ويشعره بسمو روحه، ويقربه إلى الله والناس.

ولا يوجد أعمق ولا أجمل من أن يرتبط الإنسان بالحب مع جميع الناس، يحب الكل ويحبه الكل، ويبذل كل ما يستطيع من أجل راحة غيره وسعادته حتى لو تعب فى سبيل ذلك كل التعب يجد فى تعبه راحة داخلية، يشعر بها من يصنع الخير.

الذى يقوم من الأموات فى اليوم الأخير، وليست معه أعمال خير، تقف إلى جواره، بأى وجه سيلاقى الله والناس؟!.

الإنسان الخير ليس هو الذى يحاول أن تزيد حسناته عن سيئاته.

فربما سيئة واحدة تتلف كل نقاء الإنسان وصفاء قلبه، وتكون سبباً فى ضياعه. إن نقطة حبر واحدة كافية لأن تعكر كوب ماء بأكمله، وتجعله غير صالح للشرب كما أن ميكروباً واحداً كاف لأن يلقى إنساناً على فراش المرض أو على فراش الموت. وليس هذا الإنسان محتاجاً إلى مجموعات من الجراثيم؛ لكى يصير مريضاً. كذلك فإن خطيئة واحدة يمكنها أن تتلف نقاوة أى قلب.

والشخص الشرير ليس هو الذى يرتكب كل أنواع الشرور، إنما قد يحسب شريراً بجرم واحد أضاع نقاوته مهما كانت له فضائل متعددة. إذن فلا يجوز أن ندع شائبة واحدة فى قلوبنا ولا يظن أحد أنه يستطيع أن يغطى رذيلة بفضيلة.

الذى يحب الخير صاحب المبادرة دائماً

لذلك على كل شخص أن يسعى إلى الكمال النسبى بقدر استطاعته.

الكمال المطلق لله وحده، ولكننا كبشر علينا أن نسعى إلى الكمال النسبى، وهو ما يمكن أن تحتمله طبيعتنا البشرية. نسعى إلى الخير بكل قوتنا ونحاول أن ننمو فيه.

ننسى الخير الذى فعلناه من فرط انشغالنا بخير آخر نفعله يكون أعمق فى حبه، وأعلى فى درجته، وأشمل فى فاعليته، ولا يكون الخير عملاً طارئاً أو مفرداً فى حياتنا، بل يكون هو طبيعة الحياة كلها؛ فالإنسان الرحيم مثلاً ليس هو الذى ظهرت الرحمة فى عمل من أعماله؛ إنما هو الذى تتصف حياته كلها بالرحمة فى كل أعماله، وفى كل معاملاته.

والناس فى عمل الخير أنواع:

هناك من يقدم خيراً لفرد أو أفراد. وهناك من يقدم خيراً لمجموعات من الناس أو لأمة بأسرها أو للبشرية جمعاء. ومن أمثلة هذا النوع العلماء الذين ينفعون البشرية كلها بفكرهم، وكذلك المخترعون الذين يقدمون اختراعات لراحة الناس، أو لشفائهم، أو أصحاب الفكر الذين يقدمون عصارة قلوبهم وأفكارهم؛ لكى يقودوا الناس إلى الخير وإلى المعرفة الحقيقية، مصححين لهم مفاهيمهم إن انحرفوا.

وهناك من ليس لديهم شيء يعطونه يبدو ذا أهمية ظاهرة، فيعطون غيرهم ولو كلمة طيبة، ولو بسمة مشجعة، ولو نصيحة مخلصة. وتكون لكل هذا قيمته عند الله وأجره وكذلك فاعليته عند الناس، وتأثيره.. إنه عطاء.

والإنسان الخير هو الذى يفعل الخير لكل أحد.

هو كالشمس التى تشرق على الكل بلا تفريق، وكالبلبل الذى يغرد ليفرح كل من يسمعه أياً كان هذا السامع، وكالينبوع الصافى الذى يشرب منه الكل دون أن يسأل أحد عن جنسه أو لونه أو مذهبه، وكالشجرة الوارقة التى يستظل تحتها أى إنسان دون أن تسأله عن هويته.

إنها دروس من الطبيعة تجعل الإنسان الخير يفعل الخير مع الجميع أياً كانوا فهو يعطى الكل من حبه ومن حدبه دون أن يتفرس فى وجه من يعطيه أنه يحب، دون أن يحلل دم من يحبه.

عمله الخير نابع من حبه، وليس من ارتباط الغير به.

إنه لا يفعل الخير مع أصدقائه ومعارفه وأقربائه فحسب، بل حتى مع مقاوميه وأعدائه. وبهذا الحب وبعمل الخير، يستطيع أن يحول كل عدو إلى صديق، إن صانع الخير لا يضع أمامه أن يغلب الناس، إنما أن يحب الناس، ويكسبهم، وبعمله الخير معهم يخجلهم إن كانوا قد أخطأوا إليه.

كل إنسان يقابله فى الحياة يحوله إلى صديق بعمل الخير معه، وحتى إن لم يكسب صداقته يكفى أنه أراح ضميره من نحوه.

الذى يحب الخير لا ينتظر حتى يطلب ذلك منه.

بل يكون هو البادئ، وهو صاحب المبادرة، يتحرك لعمل الخير بتلقائية داخلية، وليس بناء على طلب من الخارج. ليس فقط صوت استغاثة الناس، هو الذى يجذبه لتقديم الخير لهم، إنما هو شعور قلبه المحب الذى يدفعه تماماً كالأب الذى يعطى أولاده دون أن يطلبوا، ولا ينتظر إلى أن يشرحوا له احتياجاتهم.

الإنسان الخير لا يهدأ قلبه حتى يريح قلوب الناس.

يلتهب قلبه بمحبة الخير؛ سواء أكان مكلفاً بذلك رسميًا، أو شرعيًا أو كان غير مكلف، إن عمل الخير لا يصدر منه عن مسئولية أو واجب، وإنما عن حب. إن عمل الخير يصدر عن نبض فى قلبه وحرارة فى مشاعره، وعن دوافع داخلية فى أعماقه لا يملك أن يتأخر عنها، بل يرن فى أذنه قول الكتاب «لا تؤخر عمل الخير إلى غد حين يكون فى طاقتك اليوم أن تعمله» فالضمير الملتهب بمحبة الخير لا يقوى إطلاقاً على التأخر فى عمله إذ إن لهيباً فى

داخله يدفعه إلى الإسراع فى عمل الخير، إنك لا تستطيع مطلقاً أن تتأخر فى إسعاف مريض أو فى إنقاذ غريق أو إطفاء نار، ولا يمكن أن تتأخر فى رعاية أرملة، أو إعطاء محتاج، أو إسداء النصح إلى منحرف؛ إذ لا يمكن استنتاج ما يترتب على ذلك من أخطاء، فقد لا تستطيع علاجها بعد حين، لذلك فالأبرار باستمرار يكونون مسرعين إلى الخيرات.

المفروض أن نتعاون كلنا مع الدولة.

ومحب الخير لا يحاول أن يعتذر بعقبات فى طريق الخير.

إنه بمحبته للخير يحاول جاهداً أن ينتصر على كل عقبة، وإن كانت ليست لديه إمكانيات يسعى بكل طاقته إلى إيجاد هذه الإمكانيات.

والذى يعمل الخير يثق باستمرار أن الله يسنده، ويعمل معه.

يكفى أن يبدى استعدادَه لعمل الخير، وحينئذ يجد كل القوى السماوية عاملة معه: يجد معه الملائكة وأرواح القديسين ونعمة الله نفسه، يجد الله يعمل فيه، ويعمل بواسطته، يعمل معه ويؤيده بقوة من عنده. وصدق أحد القديسين حينما قال «إن الفضيلة تريدك أن تريدها لا غير» أى أن تبدى إرادتك والله يكمل معك ما بقى، امدد يدك لفعل الخير تمسك بها أيدى الملائكة.

محب الخير لا يعتذر بأن عمل الخير ليس من اختصاصه.

إنه لا يكتفى بأن يحيل المحتاج إلى جهات مسئولة أو مختصة إنما يعمل هو معه ما يستطيعه؛ فعمل الخير ليس وقفاً على جهات مسئولة، إنما هو مطلوب من الكل، كل فرد منا عليه أن يقوم بالخير الذى يمكنه، وبهذا الوضع يتعاون الكل فى العمل، لا يقل أحد مثلاً عن فرع من فروع أعمال الخير «هذا الأمر من مسئولية الدولة» فالمفروض أن نتعاون كلنا مع الدولة فى المجالات التى يمكننا المساهمة فيها وهكذا يكون الجهد الذاتى فى كافة المشروعات جزءاً من عمل الخير الذى يقوم به الأفراد.

ونحن نشكر الله أنه فى مجال الخدمة الاجتماعية، الكل يبذل جهده.

الأفراد يعملون، والجمعيات الخيرية تعمل، والكنيسة تعمل، والجامع يعمل، وهيئات كثيرة تعمل. ولا يقول أحد مطلقاً إن هذا من اختصاص وزارة الشئون الاجتماعية وحدها. إنها المشرفة والموجهة والمساهمة، ولكن الكل يتكاتفون معها ويتعاونون معها.

وهكذا ينبغى أن تكون مساهمتنا فى مجالات أخرى كثيرة..

ليت الكل يتعاونون معاً، فى كل الخدمات العامة، وفى الحفاظ على نظافة بلادنا، وهدوئها وكل مالها من أجهزة وإمكانيات؛ حتى لا نقف من كل الخدمات المطلوبة موقف

المتفرجين أو المنتقدين، إنما تكون لنا الروح البناءة التى كلما تجد بناء قد ارتفع، تأتى بلبنة أو طوبة أو حجر، وتضعه عليه، لكى تسهم فى ارتفاعه على سطح الأرض، وإن انتقدت خطأ يكون انتقاداً بناء، يهدف إلى التصحيح، وليس إلى الإنقاص من قدر القائمين بالعمل أو الإساءة إلى نياتهم. إن المحبة تعالج كل الأمور فى حب كما قال الكتاب «لتصير كل أموركم فى محبة» ولتكن المحبة أيضاً فى معاملاتنا. إن المحبة تبنى، والكراهية تهدم، والذى يبنى هو دائماً يصعد إلى فوق، والذى يهدم هو دائماً ينزل إلى أسفل.

والإنسان الخير هو إنسان يسلك فى حب مع الآخرين، الحب هو وسيلته فى كل عمل يعمله، إنه يرى الحب بالنسبة إلى جميع الفضائل كالخيط الذى يتخلل كل حبات المسبحة.

وكل عمل خير يعمله لابد أن يكون الحب هو أساسه، حب من نحو الله، وحب من نحو الناس، وحب للخير ذاته.

فخدمتنا للناس أساسها بلا شك هى محبتنا للناس.

وكل عطاء تقدمه لغيرك، ينبغى أن يكون صادراً عن حب، وإلا فقد فضيلته وأصبح مجرد تفضل من كبير نحو صغير، أو من غنى نحو فقير.

إن عمل الخير ليس رسميات، إنما هو مشاعر روحية وقلبية تترجم إلى أعمال، إنه حب قبل كل شيء، وما أجمل قول الكتاب فى ذلك «الله محبة. من يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه».

إن الله فى اليوم الأخير سيجمع كل ما فى أعمالنا من حب وخير، وهذا وحده هو الذى ستكون له قيمة عنده.

أما باقى الأعمال التى لا يتخللها الحب والخير، فستكون كالقش، تحرقه النار مهما بدت أعمالاً عظيمة أمامنا؛ لأنها بغير حب تكون شكليات بلا جوهر وأسماء بلا معنى.

ونحن فى عيد القيامة إذ نتذكر أيضاً القيامة والدينونة، ينبغى أن نحرض كل الحرص على اقتناء الحب والخير فى حياتنا، فبدونهما لا يكون الإنسان إنساناً.

الإنسان الخير لا توجد عنده مناسبات معينة لعمل الخير، بل هو يعمل الخير فى كل وقت وكل مناسبة، الخير لديه كالنفس الذى يتنفسه كل حين.

الخير جزء من طبعه، وجزء من طبيعته، إنه لا يعمل الخير لكى يحصل على أجر فى السماء أو الأرض، إنما يعمل الخير لأنه قبل كل شيء يجد لذته فى هذا الخير... يجد لذة

فى إسعاد الناس، ولذة فى أن يساهم فى راحتهم، وما أصدق ذلك الأديب الذى قال «قدمت لشجيرة كوب ماء فلم تشكرنى بعبارة واحدة ولكنها انتهشت فانتعشت».

إن الإنسان الخير -حينما يعطى- يجد لذة فى العطاء أكثر مما يجد الآخذ لذة فى الأخذ.

الله أولاً ثم سعادة الناس

إن العطاء الذى يعطيه يشبعه، لأنه يشبع الخير الذى فيه. إنه شىء بعيد عن الذات، وعن الأنا، لأن الإنسان الخير لا يبحث عن ذاته، إنما يبذلها لأجل الآخرين، ترتيب الأهمية عنده هى: الله أولاً ثم سعادة الناس ثم ذاته، أخيراً. وذاته يجدها فى بذلها عن الله وعن الآخرين.

محب الخير لا يزاحم الناس فى طريق الحياة...

إنه يحبهم، لذلك لا ينافسهم، وفى مجال العمل يتعاون معهم. وفى مجال الخير تأخذ المنافسة شكلاً آخر، وهو التنافس فى البذل وفى الإعطاء، ومحب الخير يفرح من كل قلبه حينما يجد الآخرين يفعلون الخير مثله، بل يفرح حينما يجد آخرين يتفوقون عليه فى عمل الخير.

إن الخير هو هدفه، وليست رفعة ذاته هى الهدف.

المهم عنده أن يرى الخير موجوداً، سواء تم ذلك بواسطته أو بواسطة غيره، وثقوا يا إخوانى جميعاً أنه إن اتحد الهدف والغرض وإن وجد الحب والخير فلن توجد خصومة بين العاملين وقد توجد منافسة فى البذل، لكن لا يمكن أن توجد معركة.

إن حياتك هى الخير الذى تعمله، وبدون الخير لا تعتبر حياً.

إنه الميزان الذى توزن به نفس كل أحد؛ لكى يحكم عليه بالحياة أو الموت، وليس الميت هو فقط ذلك الميت جسدياً الذى توقف مخه وقلبه ونبضه ونفسه، إنما هناك أيضاً موت روحى هو انفصال الروح عن الخير، وبهذا تنفصل أيضاً عن الله.

ورجوع الإنسان بالتوبة إلى عمل الخير هو قيامة للروح، أفضل من قيامة الجسد؛ لذلك افعلوا الخير باستمرار.

ولكن لعل مشكلة أساسية تقف أمامنا وهى:

ما هو الخير؟ أليس الناس يختلفون فى تعريفه؟

نعم كثيراً ما يختلف الناس فى ذلك، وقد يرى البعض الخير فى اتجاه معين، يراه الغير شراً لذلك يحتاج الأمر إلى توعية مستمرة لوضع قواعد للخير، وضوابط للخير، يستقر عليها الكل، وقد وضع الله فى أعماقنا الضمير؛ ليكون حكماً على الخير، ولكن فى بعض الأحيان

يحتاج الضمير إلى ضبط لأنه قد يخطئ، مثال ذلك الشاب الريفى الذى لا يستريح ضميره إلا إذا قتل قاتل والده، أو انتقم لعرضه بقتل زوجة أو أخت، مثل هذا ضميره مريض يحتاج إلى علاج.

وهنا ينبغى إرساء القيم والمبادئ فى كل مجال.

ويكون لهذه القيم طابع روحى وخلقى ويشعر الكل نحوها بالتزام، ويدافعون عنها ويشرحونها للناس ويجعلونها راسخة فى عقول وقلوب الناشئة والشباب، وتكون واضحة أيضاً أمام العاملين وأمام القادة.

بهذا يعرف الناس الخير؛ لأن كل إنسان يدافع عن الخير وقد يكون بعيداً عنه تماماً بمفاهيم مختلفة.

الناس يحتاجون باستمرار إلى أن يتلاقوا حول قيم روحية ثابتة.

يعرفون بهذا جوهر الفضيلة، وليس مجرد شكلياتها، ويدخلون إلى الروح والفهم السليم وحينئذ يلتقى الكل حول نقاط ثابتة راسخة، لعل بعضها ما كان يعرف فى مجتمعنا باسم التقاليد على أن تكون تقاليد سليمة.

ينبغى إرساء القيم فى عقول الشباب، والإنسان الخير لا يجعل فضيلة ما فى حياته، تكون على حساب ضياع فضيلة أخرى.

فالحق هو حق متكامل لا تناقض فيه، ولا يصح أن ممارسة فضيلة تضيع فضيلة أخرى؛ فالحزم فى حياة إنسان لا يجوز أن يفقده الحنو. والعدل لا يفقده الرحمة، والتدقيق لا يفقده بساطة القلب. والجدية لا تفقده البشاشة، والمنافسة لا تفقده المحبة، والاهتمام بعمله لا يجوز أن يفقده الاهتمام بأسرته وهكذا دواليك.

وهكذا نسعى جميعاً إلى الخير المتكامل ونحبه؛ لأن الخير فيه لذة حتى إن كان مملوءاً آلاماً.

ففضيلة الاحتمال خير، والتعب من أجل الآخرين خير، على الرغم مما فيهما من ألم والإنسان الروحى يجد لذة فى الاحتمال وفى تعبه لأجل غيره.

وفيما نتحدث عن الخير، نضع أمامنا خيراً كبيراً، يتمسك به الكل، وهو خير الوطن كله.

إنه الخير الذى يخص مصر كلها، مصر المحبوبة التى قال عنها الوحى الإلهى فى سفر إشعياء النبى «مبارك شعبى مصر»... مصر التى تباركت بزيارة السيد المسيح، له المجد والسيدة العذراء ويوسف الصديق، ومن قبل ذلك زار مصر أبونا إبراهيم أبو الآباء، وحفيده يعقوب وكل رؤساء الأسباط، وكذلك عاش فيها موسى النبى وأخوه هارون وأختهما مريم...

ما أعجب مصر من وطن، هل من شعب يتباهى بوطن كمصر؟

مصر هذه نتعلق كلنا بخيرها قبل كل شىء إنها ترتفع فوق الكل لأن مصلحتها هى مصلحة الكل، وعلينا أن نبذل كل ما فى وسعنا من أجل خيرها، من أجل سلامها وأمنها ووحدتها ورخائها.

من أجل مصر نتحد كلنا معاً، ونتعاون وننسى أنفسنا ونذكر هذا الوطن المحبوب المبارك.

لنعمل كلنا من أجل خير مصر؛ لأنها أمنا جميعاً، نطلب الخير لها ونصلى من أجل هذا الخير، ونعمل وكل منا فى ميدانه يخلص لعمله كل الإخلاص، ويضع لبنة فى بناء رخاء مصر بالكد والكدح والأمانة الكاملة فى العمل، وعدم التهرب من حقوق بلادنا علينا ومن واجباتنا نحوها.

ومن أجل مصر نتحد كلنا، قلباً واحداً ويداً واحدة، وعلى قدر إمكاننا نكون فكراً واحداً بالتفاهم والحوار، ولنحب بعضنا بعضاً، فالمحبة هى أساس البنيان.

ليكن لنا روح التفاهم والحب المتبادل والاحترام المتبادل.

وثقوا أن محبة الوطن تتسع للكل، وميادين العمل فيه متسعة للكل.

مصر محتاجة إلى كل المواهب الموجودة فيها، ومحتاجة إلى كل الكفاءات وكل القدرات. بل إننا استطعنا أن نصدر كثيراً من المهارات والكفاءات إلى الخارج قدرتها الأمم الأخرى وكانت سبباً فى رفع اسم مصر عالياً بين الشعوب، وهؤلاء الذين فى الخارج لا تزال قلوبهم متعلقة بمصر يحبونها من أعماقهم.

فلتكن كل الكفاءات المصرية عاملة لأجل مصر، سواء فى الداخل أو فى الخارج.

وفى العمل الوطنى متسع للجميع سواء كان ذلك بصفة رسمية فى المؤسسات الوطنية، أو بغير هذه الصفة فى كافة المجالات.

ونحن نصلى أن يحفظ الرب بلادنا سامية ونامية، وأن يحفظ رئيسها المحبوب محمد حسنى مبارك وكل صحبه العاملين معه، ونصلى أن يحفظ الرب كل قلب مخلص يعمل بأمانة من أجل هذا الوطن فى أى مجال، وأن يحفظ كل فكر نقى، وكل يد قوية غير متراخية وكل عمل صالح فى أهدافه ووسيلته ونتيجته.

وختاماً أرجو لكم جميعاً كل خير، وليكن الرب معكم.

وكان هذا الحوار وتلك المقال بالفعل إرهاصات لقرار العودة، ويصف الأستاذ فيكتور سلامة مساعد رئيس تحرير جريدة وطنى عودة البابا شنودة بعد أيام التحفظ فيقول: يوم

العيد يقترب...عيد الميلاد المجيد...وقلوب الناس تدق ويتزايد النبض وتندفع دفعة الدم بقوة...ليس اضطراباً، ولكن هناك توقع لنبأ طال انتظاره...قداسة البابا شنودة الثالث يعود ليرأس احتفال أبنائه بالعيد المجيد.. العيد فرحة...ولكن هذا العيد له فرحتان...فرحة العيد...وفرحة لأبينا العائد ليرأس احتفالنا بالعيد...نسمع صوته بالتسابيح عن قرب، أو عبر الأثير...بعد غيبة طويلة...لسنا وحدنا كنا نترقب العودة الحميدة...كان العالم معنا يهتم...ويوم كان القرار بهذه العودة، كانت وكالات الأنباء العالمية تدق أبواب دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون فى محاولة للاقتراب من البابا والتحدث إليه، قبل أن يخطو من الدير الخطوة الأولى إلى عالم الحرية.

وكانت»وطنى» هناك تراقب وتسجل لتعطى القراء صورة كاملة عما حدث فى اليوم الأول لصدور القرار.

جلس قداسة البابا أمام ممثلى وكالات الأنباء، وانهالت عليه الأسئلة... بعضها كانت الابتسامة إجابته...وبعضها كان يجيب عليها بكل صراحة... وهذه بعض الأسئلة التى طرحت وإجابة قداسة البابا عليها:

. كيف استقبلتم قداستكم قرار العودة؟

– القرار طبعاً لم يكن شيئاً مفاجئاً لى، لقد سبقته مقدمات مثيرة، وكل المقدمات أوصلت إلى القرار، أما عن استقبالى القرار فلقد سررت به من أجل مصر؛ بهذا القرار تخلصت مصر من آخر قرارات سبتمبر، فكل قرارات سبتمبر كانت قد انتهت، ولم يكن باقياً سوى هذا القرار.

ولقد سررت بهذا القرار من أجل الأقباط، لأن مشكلتهم وجدت الحل، وأعتقد أن هذا القرار كان لازماً من أجل الوحدة الوطنية فى بلدنا.

. هل يعنى هذا القرار أن لقداستكم حرية الكلام؟

– حرية الكلام كانت موجودة دائماً، لم أفقد حرية الكلام أبداً، لكن حرية الحركة هى التى تعتبر موجودة الآن.

. هل تفضل قداستكم استمرار المقر البابوى فى الدير، أم سيعود المقر إلى القاهرة؟

بالطبع سوف أعود للقاهرة.

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

- كان يسمى المعتقل شيراتون المرج
- حكاية العدس بالصراصير
- يقول للأنبا بنيامين أسقف المنوفية "كل المصايب جاية من المنوفية يا سيدنا"!!

يذكر للأنبا بيمن أنه كان يقول عن المعتقل «شيراتون المرج» وقد كان أجمل تعليق له فلا يقول إننا كنا فى سجن المرج، بل يقول عندما كنا فى شيراتون المرج، أيضاً كان يحدثنى عن العدس بالصراصير، حيث كان السجان يدخل بالجردل به العدس بالصراصير ويمد يده فى الجردل، فيخرج الصرصار وهو صرصار معلوف، فكان سيدنا يقلده حينما كان يقول «الله يخرب بيوتكم هتكسفونا مع الأقاسفة» ولم يكن يقول الأساقفة، وكان يتحدث عن المعاملة داخل السجن حيث إنه فى الشهر الذى عاصره بالمعتقل أيام السادات قبل أن يغتال، كانوا ينامون على الأرض وحينما كان يريد استنشاق الهواء كان ينزل أسفل عقب الباب.

أما عن الزنزانة فقد كانت عبارة عن متر ونصف وكان يوضع بها جردل للتبول والتبرز فى قلب الزنزانة وكانوا يتركونه ولا يأخذه السجان، فكان من بالزنزانة يتنفس هذه الروائح وهذه هى حياتهم عدس بالصراصير وهواء معطر بالبول والبراز.

وكان يقول إنه لا يستطيع أحد أن يأخذنى من الإيبارشية؛ لذا رتبت له القيادات لتأخذه من دير المحرق، ثم طلبته بحجة أن لديهم مشكلة لأنه ثورى، وإذا أراد أن يهيج الناس لفعل ذلك، بل ويجله المسلمون قبل المسيحيين وعن هذا تقول خادمة: لقد كان الأنبا بيمن يعتمد بالفعل على حب الناس، فهم كانوا يحبونه جداً مسيحيين ومسلمين ولو علم أحد أنه سوف يقبض عليه كانت جميع البلدة هاجت؛ فعندما علم الشعب بالقبض على الأنبا بيمن كان حدثاً رهيباً؛ فلقد تجمع الناس بالمطرانية بدموع وبكاء وكانت القداسات تقام يومياً وكلها دموع وطلبات، ولكن بالرغم من ذلك كان شعب ملوى يحمل نوعاً من البرود فأثناء ثورة ١٩١٩م كانت دير مواس ثائرة وملوى ساكنة لذا هنا أتخيل أنه إذا كان الأنبا بيمن فى عصرنا هذا لتغيرت أشياء كثيرة، فاليوم هناك من يحتج أما فى أيامه فلا يوجد أحد ثائر

بل كل واحد فكر فى ذاته، وفى هذا كان الكل يعتبرنى مخطئة؛ فلقد وصلت بى الحالة أن أسير فى الشوارع وأريد أن أحطم الدنيا، وما كان من الجميع أن ينصحنى خشية أن يقبض علىَّ، وأنا كنت أريد ذلك لأننى لست أفضل منه؛ فهو إنسان لا يحب المتعصب المسيحى أبداً، وكان يقول يجب أن نعطى المحبة للكل؛ فلم يكن يحب المسلمين رياء أو تظاهراً بمحبتهم، بل إنه كانت بداخله المحبة بالفعل، وكانت داخله كمية حب تكفى العالم بأسره، لذا كيف يتهم بأنه يثير الفتنة الطائفية ويتم اعتقاله.

أما أ.عادل عونى- الخادم بملوى- فيتحدث عن ذكرياته مع الأنبا بيمن حينما كان يحدثه عن المعتقل ويقول: بداية أريد أن أتحدث عن كيف كان الأنبا بيمن يدخل أى قسم، حيث كان يدخل وكأنه وزير؛ له مكانته واحترامه، فقد كان يكتب له فى رخصة القيادة مسئول أقباط ملوى، وقد كانت مكانته كبيرة جداً مع رجال الشرطة، وأيضاً الوزراء؛ فحينما كنا نذهب لنهنئ المسئولين بالعيد، كانت السيارة تدخل به لداخل القسم أو المديرية، وترى مدى المحبة التى يحاط بها من الضباط، فتجده يسير عن يمينه مأمور البندر وعلى يساره مأمور المركز، وهم سعداء، كأن معهم أحد الوزراء. أيضاً أتذكر له أن (زكى بدر- وزير الداخلية) كان من أصدقائه، وقد كان فى بدايته ضابطاً بمديرية أمن المنيا، وقد قابل سيدنا بعد أن أصبح وزيراً فأخذه بالحضن وأخذ يتحدث معه، أيضاً أذكر له فى حادث الإضراب الذى صنعه الأمن المركزى وحرقوا سيارات منها سيارة وزير الهجرة فى هذا الوقت «وليم لبيب سيفين» وقد كانت علاقته طيبة وقوية جداً مع سيدنا، وفوجئت به ليلاً أثناء هذا الحدث يطلب منى أن أتصل له بوليم لبيب لِيُعَيِّد عليه ويعزيه على ما حدث له، وكان هذا ليس عن خوف ولكنها محبة وتقدير، وقد كان المحافظ يأتى لتهنئته بالعيد، حيث كان يستقبله سيدنا استقبالاً رائعاً بالموسيقى عازفاً السلام الوطنى، فكان المحافظ «صلاح الحديدى» يقول لسيدنا «إننى أشعر دائماً أننى فى مبنى المحافظة» وكان فى جلستهما معاً الكل يصمت والأنبا بيمن وحده يتحدث، وحينما كانوا يخرجون كنت أسأل الأنبا بيمن لماذا يجلسون فى صمت هكذا؟ فكان يجيبنى أنهم مبهورون؛ فالجلوس مع الأنبا بيمن حقاً متعة وخاصة عندما يكون هادئاً، فتشعر أنه إنسان متكامل من جميع النواحى.

أما عن المعتقل فيقول:

لقد كان الأنبا بيمن فى هذا الوقت بدير العذراء بالمحرق، وكان يقيم اجتماعاً للشباب هناك، وعندما عاد وجد المأمور يطلبه ويخبره بأن المحافظ يريده بالمنيا، وبالفعل ذهب سيدنا للقاء المحافظ، والذى أخبره أن هناك إشكالاً بين الرئيس السادات وقداسة البابا

شنودة الثالث، ولا أحد ينهى هذا النزاع سواك، فضحك سيدنا قائلاً: «ألا يوجد سواى من الأساقفة ليحل هذا النزاع» وفى هذا يقول سيدنا إن المحافظ كان يجلس يكتب كثيراً وسافر سيدنا بسيارته الخاصة، وعلى الرغم من أنه كان يستطيع العودة لملوى ويجعل الشعب يهيج إلا أنه رفض الثورة، وأثناء دخوله القاهرة اشترى جريدة ففوجئ بقرار التحفظ على ثلاثة أساقفة من الصعيد، فعلم أنه من ضمنهم، فكان فى حالة سيئة جداً وشبه منهار، لكنه بدأ يتحمل ودخل المعتقل، أو كان كما يطلق عليه «الشيراتون» وقد كانت الحياة هناك صعبة لكن بعلاقته الطيبة بدأ يقيم علاقة طيبة مع المأمور، على الرغم من أنه كان يعاملهم معاملة صعبة فى البداية، حيث كان دائماً ما يمنعهم من الخروج لخارج الزنزانة حتى ولو لدقائق ويوماً طلب سيدنا ليتحاور معه، وبدأت الحوارات بينهما تكون طيبة لدرجة أن زوجة المأمور كانت تطلب منه قائلة «إياك أن تغضب شيخ النصارى» وتقصد به الأنبا بيمن، وإذا مرض أحد أبنائه يذهب فى اليوم التالى يسأل سيدنا إذا أغضبه فى شىء وكان يجلس سيدنا معه فى مكتبه، وابتدأ الأساقفة والكهنة يصلون باللغة القبطية مما جعل أمن الدولة تكتب تقريراً عنهم قائلة فيه «يلهجون بلهجة غير مفهومة» وكان هو والأنبا ويصا معاً فى الزنزانة رقم ٢٣، وكان الأنبا بيمن أكبر من الأنبا ويصا بعدة سنوات، مما جعل الأنبا ويصا يتركه ينام على السرير، وهو يطرح فرجيته أرضاً وينام عليها، وقد كان الطعام غير جيد، حيث كانوا يأكلون عدساً به حشرات، أيضاً الأوانى التى يوضع بها الأكل غير نظيفة فكان سيدنا يثار من هذا الوضع؛ لأنه يفترض أن يكون هناك معاملة آدمية على الأقل.

وقد كان الأنبا بيمن الوحيد الذى يعلو صوته، ويتحدث فى المعتقل، وهذا ناتج عن علاقته القوية مع المأمور، وأسلوبه القوى فى الإقناع، فالمأمور كان غير مقتنع بقرار سجنه؛ فلا يوجد خطأ عليه؛ لذا كان يحن على الأساقفة والكهنة لأنهم أبرياء، فمن يأت إليه أناس أطهار مثل هؤلاء، ماذا يفعل؟

وبالرغم من اعتقاله وهذه المعاملة الصعبة إلا أن الأنبا بيمن روى لى عن بعض المواقف الطريفة التى كانت تحدث بالمعتقل، أنه كان ينادى من أسفل عقب باب زنزانته على الأنبا بنيامين أسقف المنوفية قائلاً له: « يا سيدنا المصايب كلها جايه من المنوفية» أيضاً كانوا يصلون القداسات، كانوا يقولون: «صلوا من أجل رئيس كهنتنا البابا شنودة الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية الأنبا بيمن أسقف سجن القناطر والمرج».

وقد استمرت المعاملة الصعبة لهم حتى اغتيل السادات فبدأ كل شىء يكون مباحاً يخرجون خارج الزنزانة ويقرأون الجرائد.

الإفراج عن الأنبا بيمن:

لقد تم الإفراج عن الأنبا بيمن فى ١٣ يناير ١٩٨٢م.

ولكن بالرغم من ذلك مكث عامين خارج الإيبارشية، وعن هذا يكمل أ. عادل عونى حديثه قائلاً: لقد مكث الأنبا بيمن لمدة عامين ممنوعاً من دخول إيبارشيته، لكنه كان يشرف عليها من دير المحرق، حيث كلف الأنبا أرسانيوس أسقف المنيا وأبوقرقاص حالياً بالإشراف عليها، وكان سمير سائقه يروى لنا أن سيدنا إذا مر بسيارته على ملوى فى هذه الفترة كان يبكى؛ لأنها إيبارشيته ولا يستطيع دخولها، وقد كان يقال لنا إنه ممنوع من دخول الإيبارشية لدواعٍ أمنية، فقد ذيع أنهم يخشون عليه من أن يحدث له مكروهٌ ما، لكن كان الأمر غير ذلك.

وجينما عاد مرة أخرى كانت الفرحة كبيرة جداً، والشوارع مزدحمة بالسيارات والشعب؛ فمن شدة فرحة الناس كانوا يركبون على سيارته المرسيدس وهتافات له؛ كأن البابا يزور ملوى، وقد نزل الأنبا بيمن من سيارته، وهو يصلى، والدموع تذرف من عينيه؛ لشدة اشتياقه لإيبارشيته.

وقد كان سيدنا بعد المعتقل يشعر بالحزن لأنه تعب عدة مرات ونزف داخل المعتقل فكان يتم نقله للمستشفى، ثم يعود مرة أخرى وقد كانت عادته أن ينام بالجلباب الأبيض.

بعد المعتقل أخذ موقفاً مغايراً تجاه رجال أمن الدولة، لأنه كان يشعر أنهم السبب لأنهم كتبوا عنه تقارير غير منضبطة بالرغم من علاقته القوية معهم، بل إنه أيضاً يهاديهم الهدايا القيمة لكن لا نعلم كيف فعلوا ذلك أم أن هذه تعليمات لهم.

وأذكر أنه أتى إليه ذات مرة مدير مباحث أمن الدولة؛ لزيارته فكلفنى الأنبا بيمن أن أنزل إليه وأسأله هل هذه المقابلة سياسية أم عادية؟ فأخبرنى أنه يريد السلام عليه فقط؛ فنزل سيدنا إذ بى أفاجأ به يحتضنه ويقبله، فسألت سيدنا بعد أن رحل الرجل كيف حدث هذا؟ فأجابنى سيدنا:» لقد تعمدت يا ابنى لأننى ألقيت ذنبى عليه لأنه كتب فىَّ التقرير» وقد كان حظ هذا الضابط سيئاً ولم يعطه الله خلفاً».

الأنبا فام أسقف طما
والأنبا ويصا أسقف البلينا

الأنبا فام: سر فرح القديسين فى السجن
الأنبا ويصا: حولنا السجن إلى دير

يقول الأنبا فام أسقف طما عن هذه الأيام: تعلمت درساً من السجن، وأخذت بركة الحبس وكنت سعيداً جداً عندما وضع الحديد فى يدى، وشعرت بما شعر به بولس الرسول فى السجن أثناء وجودى فى الزنزانة فى الفترة من ٥/٩/١٩٨١ حتى شهر يناير١٩٨٢ «ولأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسم المسيح» (أعمال٥: ٤١). وأن ما حدث كان بترتيب من ربنا حتى أبعد قليلاً من الناس وعن عمل «مرثا» وأن أعمل عمل «مريم» وكنت أنا والآباء المحبوسون معى نتأمل رسائل بولس الرسول فى السجن، ويقودنا فى السجن للصلاة أبونا المتنيح الأنبا بيمن، والأب يوسف أسعد، والأب تادرس يعقوب، واستفدت منها فى حياتى وعرفت سر فرح القديسين عندما تعرضوا للعذابات، وكيف أنهم أثناء تعرضهم للضيقات لا يشعرون بأى ألم. أذكر أنه كان معنا مريض بالبروستاتا كبير السن تحمل ظروف السجن القاسية وكانت يد الله تعمل معه، ولم يشعر بأى ألم أثناء فترة حبسه؛ لأن الرب كان معه، وكانت هذه الأيام مباركة لدرجة أننى أعتبرها شهر العسل. فيها كنا نصلى القداسات وصلينا قداسى عيد الميلاد على أقفاص الجريد الفارغة، وتمت أول سيامة داخل أسوار أو جدران الزنزانة بسيامة القمص عبد المسيح بسيط شماس أغنسطس والدكتور نبيل عطا الله شماس إبصلتس داخل السجن بيد الآباء الأساقفة وما أحلى أن يجتمع الأخوة معنا لأن مسئولية الخدمة صعبة للغاية، عندما كنت فى السجن كنت مسئولاً عن نفسى، أما خارج السجن فإننى مسئول عن شعبى والخدمة.

أما نيافة الأنبا ويصا أسقف البلينا فيقول: حولنا السجن إلى دير من جهة أحداث سبتمبر ١٩٨١ فاكتفى بالقول إننا قد خرجنا بقوة أعظم، فاحتمال الظلم بصبر وتحول السجن إلى دير وبالصلوات المتواترة قد تهللت نفوسنا وأضاءت حياتنا.

القمص بولس باسيلى

- تذكرت ابن سينا على باب السجن
- حكاية المخبر الذى يشبه شمشون الجبار
- الليلة الأولى أصعب ليلة
- هل الفول بالصراصير صيامى؟
- الأنبا تادرس أسقف بورسعيد رفض البقاء بقبرص أو الهروب لأمريكا وجاء للسجن!
- احتفلنا بمولود للقمص صموئيل ثابت ومولود للقمص إبراهيم عبده وعملنا لهما السبوع!

يروى تجربة اعتقاله فيقول:

فى قرية المرج يوجد سجن كبير، لم أكن يوماً أفكر أو حتى أحلم أن أراه، وإذا بى أدخل إلى أعماقه وأرى «قسم التجربة» وهو القسم الذى يزج فيه المسجون فى بادئ حياته فى السجن ليجرب حظه مع المساجين، ولينال من «الضيقة العظمى» ما شاء له القدر أن ينال... ثم بعد ذلك تأتى الأوامر «بترقيته» إلى «الليمان» الذى يليق به وبمركزه... والناس على كل حال «مقامات»!

وكان من حسن حظى أو سوئه لست أدرى، إذ كنت أقضى بضعة أيام من صيف سنة ١٩٨١ فى بيتى بضاحية أبو قير وإذا بزائر الفجر - وكان فى يوم الخميس الثالث من سبتمبر وأنا أغط فى نوم عميق، ونوافذ المكان تبعث لى أجمل هواء، يقرع بابى بشدة وبعنف؛ قمت فى الحال أفرك عينى، وإذا بى أمام ضابطين بثياب بيضاء ولكن بنية سوداء، ولأنهما كانا يعرفانى إذ كانا من حرس مجلس الشعب، عاملانى برفق وبكل هدوء واحترام، يسألاننى أن أرتدى ملابسى وأتجه معهما إلى مديرية الأمن بالإسكندرية!!

- **لماذا؟**

- والله ما نعرفش!!

- **إياك علشان موضوع الشعراوى؟**

- يمكن.. على أى حال دول كلمتين حنخدهم منك فى المديرية وتروح!!

- **يعنى ما أخبش معايا شنطة ولا حاجة؟**

- مالوش لازمة!!

وارتديت ملابسى ونزلت معهما فماذا أجد أمامى فى الشارع- والظلام باق- أجد أمامى «ترسانة» من العسكر والمخبرين والأمن المركزى، ورجال أشداء، أمسكنى أحدهما بيد والآخر بيد وحاولا أن يصعدانى «العربة» من الخلف فرفضت وصعدت إلى جوار السائق، وجلس أحد الضباط عن يمينى، والآخر عن يسارى، وجلست أنا بين قوسين، أو قل بين نارين!!

ومنذ الساعة السادسة من صباح يوم الخميس المشهود وأنا أنتظر بالمديرية لحين مقابلتى للسيد المدير- كما قالوا وكذبوا علىَّ- ولما أردت أن أقضى حاجتى اصطحبنى ثلاثة من العسكر وأدخلونى دورة المياه وعسكروا ثلاثتهم على الباب، كل ذلك وأنا فى دوامة... ما هذا الذى حدث؟ حتى دورة المياه لا يتركوننى وحدى؟

وجاءت العاشرة من الصباح المشهود وإذا بى أتلقى الأوامر بالنزول إلى الشارع، وعند باب المديرية الخارجى كان صف من العسكر والمخبرين فأشار للبعض لإحضار «الكلابش» وتقدم أحدهم ليلبسنى إياه وأنا فى ذهول!! ولكن رأيتنى أنفعل وأصيح «كلابش ليه؟ أنا مجرم؟!!»

ولكنى رضيت بما قسم الله لى وقبلت الكلابش لأنى حسبت أهلاً أن أتألم من أجل المسيح!! وإذا الضابط يرمقنى بنظرة رثاء وهو يقول «معلهش يا سيادة القمص دى أوامر علينا».

وأدخلونى عربة الجيش وحولى «أورطة» من العسكر والمخبرين، وسارت بى العربة تشق لنفسها طريقاً بين الجماهير التى كانت قد استيقظت على هذا النبأ وبين صفوف العامة والخاصة من الشعب يتفرجون علينا وعلى هذا الموكب العظيم!! أمامى عربة بوليس نجدة، وخلفى عربة أمن مركزى، وأكثر من خمس عربات أخرى تحمل عديداً من العسكر، ولولا أن معركة أكتوبر٧٣ كانت قد انتهت لظننت أننا ذاهبون لمحاربة إسرائيل!!

وكم كان ألمى النفسانى شديداً حين كانت تمر عربتى والعربات التى تحوطها بين صفوف المتفرجين، يقول بعضهم لبعض: «المساجين أهمه» فتذكرت أنشودة صلاح جاهين

وهو يقولها بفخر «المصريين أهمه»!! وتذكرت كلمات النشيد- نشيد مصر الفتاة- الذى كنت أردده فى شبابى:

اسلمى يا مصر إننى الفدا...ذى يدى إن مدت الدنيا يدا

لك يا مصر السلامه... وسلاماً يا بلادى

لو رمى الدهر سهامه.. أتقيها بفؤادى

واسلمى فى كل حين!!

تذكرت هذا النشيد وأخذت أردده فى سرى وأترحم على أيام الصبا، أيام الحرية والوطنية وتحسرت على هذه الأيام التى نعيشها..

ثم انحنيت على أحد الجنود من حولى وكنت أحس أنه حزين من أجلى متعاطف معى مشفق على شيخوختى، وقلت هامساً:

- **على فين يا ابنى رايحين؟**

- والنبى يا عمى ما أعرفش ده مش أنت بس... داحنا لينا يومين عمالين نحمل عربيات، ناس زيك- وأشار إلى لحيته- فعرفت أن كثيرين من الآباء الكهنة قد سبقونى، ولكن ما كنت أظن إطلاقاً أن هناك من هو أكبر درجة من الكاهن، إلى أن وصلت بالموكب الفاخر أبواب قرية «المرج» ولمحت مبنى حكومياً ذا أسوار حجرية عالية ولافتة ضخمة بارزة معلقة على بابه مكتوباً عليها: «سجن المرج»!! شاهدت هناك عديداً من العمائم السوداء المختلفة الأحجام والمقامات.

وتنفست الصعداء، وشكرت الله أن وصلت «سجناً» وكنت أخشى الخشية كلها أن يكون مصيرى «معتقلاً» فى صحراء أو جبل!!

وخطر لى وأنا أخطو الخطوة الأولى فى أرض السجن قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة:

دخولى باليقين بلا افتراء...وكل الشك فى أمر الخروج!!

وهذا تقرير فلسفى صحيح للواقع؛ فالدخول للسجن يقين لا شك فيه، وأما الشك كل الشك فهو أمر الخروج متى يكون؟ وإلى أين يكون؟ إلى رجعة قريبة من السجن وإليه؟ أم إلى عالم الحياة مرة أخرى؟ أم إلى عالم الأموات؟

وبعد ساعة من دخولى تم فيها تفتيشى من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، بادرنى ضابط من ضباط السجن بالسؤال:

– أنت بولس باسيلى؟ فأجبته: «لأ أنا القمص بولس باسيلى».

– أيه معنى القمص؟ قلت له على الفور معناها الأب أو القسيس التى وردت فى القرآن الذى قال: « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون».

– الله يعنى أنت حافظ القرآن أهه؟ أمال جابوك ليه هنا؟ قلت له: « علشان أنا حافظ» فضحك من معه من ضباط وأمناء الشرطة!!

وحينما دلفت إلى داخل الأسوار تلقفنى مخبر بلباس ملكى، طويل القامة كشمشون الجبار وجهه كوجه الشيطان وجسمه كجسم الوحوش، عرفته وعرفنى فابتسم ابتسامة الشماتة وقال: «أهلاً...هو أنت شرفت..» ثم أخذنى بقوة، ولم يرحم شيخوختى وتأبط بذراعه الخشن، ذراعى الضعيف وذهب بى إلى غرفة «مأمور السجن»!! ثم صرخ بصوته الأجش يقول «يالله زنزانة ١١».

وصدقنى؛ عمرى فى حياتى يا قارئى العزيز لم أدخل السجن، ولا حتى تخشيبة أى قسم بوليس، لا فى القاهرة ولا فى الصعيد!! فصحيفة سوابقى نظيفة والحمد لله، وإنى أنتهز هذه المناسبة لأنصح جميع الشرفاء سواء من رجال الدين أو من العلمانيين، أن يختبروا كل شىء وأن يدرسوا نظام السجون من قبيل: «العلم بالشىء ولا الجهل»!!

وأذكر هنا أخاً كريماً يدعى «سمير تادرس الصحفى» كان قد سبق له أن سجن أكثر من مرة سجناً سياسياً، فهو يدخل السجن كمن يدخل السينما، يتلذذ بالسجون كما يتلذذ بأكل البقلاوة أو «الآيس كريم» فى عز الحر– حر الزنازين فى سبتمبر– وما أدراك ما حر الزنازين وأنت ملقى على «البرش» على الأرض الأسفلت وعليك سقف من الأسمنت المسلح!!

هذا «السمير» كان يتخذ رأس السجن له زنزانة، وكلما كان يشاهد من برجه أحد «الزبائن» سواء من الأساقفة أو الكهنة كان ينادى ويقول: «ألو الآن التحق بسجن التجربة فلان أو القمص فلان، وهو فى تعداد النزلاء رقم كذا... وقد دخل الزنزانة رقم كذا وأرجو أن يقدم نفسه عندما يستريح من المشوار!!» وبعد ساعة أو بضع ساعات كنا نسمع «الزبون الجديد» يحيينا من «الفتحة» التى تعلو باب زنزانته ويذكر اسمه ولقبه والوظيفة التى يشتغلها فى الكنيسة، والتهمة التى يظن أن تكون ربما هى التى جاءت به إلى هذا المكان!!

ولا ننكر أن زنزانتى رقم ١١ كانت محظوظة لسببين:

أولاً : أن واجهتها كانت بحرية!! فكان يدخل إليها الهواء من نافذتها المعروفة بالنضارة التى تطل على البحرى بمساحة قدرها ١٠ فى ١٠ سنتيمترات مربعة وهى كل متنفس الحجرة!!

وثانياً أن رفيقى بها كان كاهناً مرحاً لا تفوته النكتة حتى وهو فى غياهب الزنزانة، وبذلك استطاع أن يخفف عنى عناء السجن، ذلكم هو الأخ المحبوب القمص باسيليوس سدراك كاهن المنيا سابقاً و«سان لويس بأمريكا حالياً» وبهذه المناسبة لا يفوتنى أن أسجل هنا إحدى فكاهاته فعندما طاف بنا مأمور السجن، وهو العميد محمود الجميل مع ضباطه ليحيونا بوصفنا «الزبائن الجدد» الوافدين على سجنهم بالمرج، وقفنا جميعاً؛ كلٌ على باب زنزانته، فلما وصل إلينا المأمور قدمت نفسى إليه «القمص بولس باسيلى»: فمال على زملائه الضباط وقال: «آه عضو مجلس الشعب؟ أهلاً!!» ولست أعرف بالضبط هل كانت كلمة «أهلاً» هنا تحية مخلصة، أم أنها تحمل معنى الشماتة... لست أدرى...ولما جاء دور رفيقى القمص باسيليوس– وهو بهذه المناسبة عملاق طويل قدم نفسه باسمه وباسم بلدته– المنيا– فقال المأمور «يعنى تبع الأنبا بيمن؟» قال له لا «مطران تانى وهو الأنبا أرسانيوس» فقال المأمور: «وده مجاش معاكم ليه هنا زى زملائه؟» قال أبونا باسيليوس على الفور: «أصله يا أفندم مطران قصير وأنا أطول منه مرتين...وهمه بياخدوا بالطول فسابوه هو وأخدونى أنا!!». فضحك المأمور ورفاقه وأخذ المأمور يحكى هذه النكتة على كل من يلقاه للتفكه والترفيه، وكان لهذا الجواب مغزى أى مغزى!!

نعم كنت أسعد حظاً فى زنزانتى من كثيرين ممن كانوا معى، لأن رفيقى طويل القامة فاتفقت معه على أن يشتم الهواء– بعض ما يمكنه الحصول عليه من الهواء– من «النظارة ١٠×١٠سم» وأما أنا فكنت أنبطح أرضاً وأستجدى وأتمنى أن يدخلنى من عقب الباب قليل من الهواء العليل، من ذلك المكان الجميل!! ولكن هيهات...

فما كل ما يتمنى المرء يدركه... تأتى الريح بما لا تشتهى السفن.

وما أصعب على السجين أو على المؤهل للسجن من «الليلة الأولى» فهى الحد الفاصل بين عهد وعهد، وبين حياة وحياة، بين حياة الحرية وحياة العبودية، بين حياة النور وحياة الظلام، لذلك كانت تلك الليلة– ليلة ٣ سبتمبر ١٩٨١ أصعب ليالى حياتى على:

الأرض، فحين ذهب بى الضابط إلى زنزانة رقم١١ ، وجدها مشغولة بغيرى، لذلك حولنى- مؤقتاً- لزنزانة ١٠.

رأيت هناك شخصين من العلمانيين أحدهما أعرفه اسمه الشماس عبد المسيح روفائيل من كفر إبراهيم عوض منيا القمح، والثانى لم أكن أعرفه هو الأستاذ فيليب ناظر مدرسة بأسيوط، رأيت الأول يربت على كتف الثانى ويعزيه، ورأيت الثانى يبكى مر البكاء؛ فارتجفت وقلت لماذا يبكى؟ وهل رنوه علقة من العلق إياها أم ماذا؟!!

قال لى الشماس عبد المسيح: إن الأخ فيليب يبكى؛ لأن زوجته وأولاده لا يعرفون مكانه.

فقلت له «انهارده الخميس وبكره الجمعة مفيش تحقيقات ويوم السبت إن شاء الله يحققوا معاك ويفرجوا عنك» فتضايق وقال «يعنى لسه حاقعد فى السجن ٣ أيام؟!» وقد استصعب المسكين فيليب أن يقضى بين جدران السجن ثلاثة أيام، ولم يدر أنه سيقضى شهوراً وشهوراً بين القضبان!! ولما طال بنا الوقت كنت أمر على الأخ فيليب وأقول له: «ثلاثة أيام يا فيليب كنت مستكترها؟! فيضحك «وشر البلية ما يضحك!».

وجاء الليل فأظلمت الزنزانة ظلاماً لم أعهده من قبل، فالنافذة المغلقة عند سقف الحجرة حجبت كل ضياء يتسلل إلى الحجرة من فناء السجن المنار بنوره الضئيل، فلم أستطع أن أعرف مكان «التواليت» أو «المسطراح» كما كان حراس السجن يسمونه، وما أدراك ما هذا المسطراح؟! إنه فتحة تتوسط مكان مساحته «٧٠ × ٧٠» سنتيمتراً ينحشر فيه الواحد منا، وكان زميلى القمص باسيليوس سدراك الذى زاملته فى الزنزانة رقم «١١» بدين الجسم طويل المنكبين، عندما يجلس فى ذلك المكان ليقضى حاجته يحتاج إلى شخص يتوكأ عليه حتى لا يسقط فكنت مضطراً أن أقف بجواره ليجعل منى جداراً يستند إليه وما أدراك ما الرائحة التى كانت تتصاعد من تلك الحفرة البغيضة التى ليس لها « صرف صحى» فكانت الأبخرة التى تخرج منها كافية لأن «تعطر» الزنزانة جميعها... رحم الله الأيام، وجزى شر الجزاء من أصدر تلك القرارات الجسام!! ولله در الشاعر الذى أنشد يقول معنا هذا الكلام:

جمعت شقاء العيش فى ظلمة الردى...فيالى من ميت شقى الخواطر

أرى الصبح وهاجاً بمقلة نائم... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر

وتذكرت فى ظلمة تلك الليلة الظلماء ما أنشده الشاعر الكفيف:

هل عاد عندك يا زمان بعدى...خطب تعاندنى به وتعادى؟

يبدو النهار لكل عين أبيض..ولعينى متوشحاً بسواد!!

رحم الله الأنبا بيمن أسقف ملوى الراحل، فقد سأله كثيرون من شعب ملوى على أثر الإفراج عنه من السجن: «فينك يا سيدنا، أنت وحشتنا خالص؟ فما كان من الأسقف نيح الله نفسه إلا أن قال على الفور: «كنت فى شيراتون ٥ نجوم»!!

وما أبعد الفارق بين «سجن المرج» أو «ليمان وادى النطرون» وبين فندق شيراتون ذى النجوم الخمس!! يكفى أن أصور لك نوع السرير الذى كنا ننام عليه، ونوع المرتبة أو الغطاء فالسرير عبارة عن «برش» سمكه لا يزيد على السنتى الواحد، وهذا البرش مفروش على «أرض أسفلت» غير منتظمة، فكنا نحس بضلوعنا تتكسر، وعامودنا الفقرى يتلوى ويتقلص، وأما سقف هذه الزنزانة فكان عبارة عن «طبقة مسلح» تفرز حرارة نارية، فكنا والعياذ بالله نعيش بين نارين، نار من تحت ونار من فوق، ونحن كالسندوتش أو على حد تعبير المجمع اللغوى: «شاطر ومشطور وبينهما طازج». وأما نوع الطعام الذى يقدم لنا فكان عبارة عن صفيحتين أثريتين لو رآهما رجال الآثار لتحفظوا عليهما وضموهما إلى متحفهم!! صفيحة تحمل العدس وما أدراك ما العدس عند شيراتون إنه الحصى الذى يحيط به من كل جانب، فكم خلع من ضروس، وكم حطم من أسنان!! أما الصفيحة الأخرى فكانت تحمل الفول المدمس «الممتاز» الممتاز بزلطه وحجارته، وفوق سطحه يسبح جيش من «الصراصير» بعضها ميت وبعضها حى، حتى إننا احتجنا فى فترة الأصوام أن نستفتى «المجمع المقدس» الذى كان محبوساً معنا وقوامه ثمانية من الأساقفة أو بتعبير الحراس- حراس السجن- «الأسقافة»!! اضطررنا أن نستفتى أصحاب النيافة: هل هذا الفول صيامى أم فطارى؟! باعتبار ما يحويه من كائنات حية وهى السوس والصراصير!!.

والحق لم ينقذنا من هاتين الصفيحتين سوى «صفيحة من الجبن القريش المعدوم الدسم» والتى كانت «أسقفية الخدمات» قد تشفعت لنا لدى مأمور السجن لإهدائنا به فكنا نضع قطعة الجبن فى كوب من الماء ونتركها ثلاثة أيام حتى «تبوش» بسبب الأبخرة التى كانت تتصاعد من «المسطراح» وكم أعجبتنى «النكتة» التى أطلقها أبونا باسيليوس «زميل التجربة» عندما يتفاخر بزنزانته ويقول «إن زنزانتنا ليست مكيفة فقط بل مكنيفة»!!

وكان قد نسب ذلك التعبير إلى «الكنيف» وهو نفس المعنى الصعيدى لكلمة «المسطراح».

وقد بلغ عندى مرض السكر وأنا فى السجن درجة خطيرة ٥٢٠ درجة فى الدم بحسب التقرير الطبى، وانتشر فى جسدى الأسيتون حتى إن نيافة الأنبا بيشوى أسقف دمياط الذى طالما اعتنى بى خلال مرضى قال لى بعد ذلك: «لقد كنت أشتم رائحة الأسيتون تتصاعد من فمك بشكل خطير!!» وكان الدكتور النقيب مجدى الدسوقى طبيب السجن قد أعطانى بدون قصد بالطبع «علبة أشرطة اختبار للسكر» ظهر أنها فاسدة قد فات تاريخ استخدامها فكنت أحلل ولا أرى أثراً للسكر؛ فآكل ولا أتعاطى دواء، ولذلك أصابتنى غيبوبة السكر الخطيرة فسقطت على أثرها فى ردهة السجن مغشياً علىَّ، ونقلت فى الحال إلى قصر العينى عنبر ١٤ الخاص بالمقبوض عليهم، ودخلت الإنعاش على مدى عشرة أيام، وأذكر أن صديقى الشيخ المحلاوى واعظ مسجد إبراهيم باشا بميدان محطة الرمل بالإسكندرية كان فى غرفته بالمستشفى مجاوراً لغرفتى، وطوال الليلة الأولى لى كان التليفون يرن حتى أقلقه: إدارة المباحث تسأل: «إزى القمص بولس؟» كانت مشغولة لا حباً فى سواد عيون القمص، بل خشية أن يموت ويشاع أن السجن قتل القمص بولس، وكان منذ أيام قد مات فى السجن الوزير السابق العظيم عبد العظيم أبوالعطا!!

وبالمناسبة إن الشيخ المحلاوى رفيق السجن كان هو الشخص الذى أشار إليه السادات يوم قال «هو مرمى زى الكلب فى السجن».

ومنذ أن شاع نبأ دخولى الإنعاش «العناية المركزة» قال أحد الكهنة- سامحه الله - لأحد شمامسة كنيسته «جهز المكان أبونا بولس صاحبك جايبينه نصلى عليه النهاردة!!» ولكن الله خيب آمال ذلك الكاهن المسكين وأطال فى عمرنا إلى هذا اليوم، ومن يدرى من الذى يسبق الآخر إلى العالم الآخر!! يقابل هذا الكاهن السيئ أن الأساقفة الثمانية، والثلاثة والعشرين قسيساً الذين شاهدونى محمولاً أمامهم على «نقالة» إلى الإنعاش وقفوا جميعاً يصلون من أجلى فى ساحة السجن، والدموع تذرف من عيونهم ظانين أنهم لن يروا وجهى فيما بعد!! ولكن «عمر الشقى بقى» كما يقولون وهأنذا كما تروننى قوياً أهز الأرض هزاً والحمد لله كثيراً!!

وبمجرد الإفراج عنى فى ٢٨/٤/ ١٩٨٢ كنت فى اليوم التالى مع زوجتى فى دير الأنبا بيشوى أتبارك بزيارة قداسة البابا، والسؤال عنه، ولا أنسى ما حييت القبلة الأبوية

والبابوية القوية التى عانقنى بها، وقال كلمته التى لا أزال أذكرها: «كنت كل يوم يا أبونا أرفع صلاة خاصة من أجلك، وأنت فى المستشفى والحمد لله على سلامتك»!!

وفى يونيه ١٩٨٢ كنت فى زيارة أبنائى بأمريكا وعلمت من الآباء هناك أن الشعب كله فى المهجر قد فرض صوماً من أجل البابا، ومن أجلنا ثلاثة أيام «الأربعاء والخميس والجمعة» وظل مستمراً فى هذا الصوم إلى أن خرجنا وخرج البابا...وهكذا كان وفاء الشعب كل الشعب من أجل خدامه الذين يتفانون فى خدمتهم!!

ومن السجن فى المرج إلى الليمان- ليمان وادى النطرون- فلقد خشى المسئولون أن يهجم علينا فى سجن المرج جماعة المتطرفين، وكانوا حينذاك قد هاجموا مقر الأمن المركزى فى أسيوط، وقتلوا أحد الضباط الأقباط هناك، ولأن وادى النطرون به «ليمان» يسجن فيه العتاة من الأشقياء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، وحراسه أكثر قوة من سجن المرج، لذلك نقلونا من المرج إلى هناك تحت جنح الظلام ولكى لا يعرف مكاننا أحد، وهكذا امتلأت بنا سيارتان من سيارات المساجين التى ليس بها منافذ سوى الشبابيك «ذات الحديد البقلاوة» التى لا تزيد على ٣×٣ سم وبعد ساعات رأينا أنفسنا أمام مبنى ضخم وأسواره مرتفعة جداً وعلى واجهته لافتة تقول: «ليمان وادى النطرون» والحق كان الليمان أكثر راحة من السجن حيث رأينا فيه أسرة من حديد؛ كل ثلاثة أسرة يرتفع بعضها فوق بعض.

وبعد يومين من استقرارنا هناك، فوجئنا بالسيد اللواء مدير عام مصلحة السجون بالقاهرة يشرفنا بالزيارة، فلما وصل إلى بابنا رآنا واقفين نصلى، فتركنا وانتظر فى مكتب إدارة الليمان حتى انتهينا من الصلاة، وحضر إلينا يحيينا أجمل تحية: «أهلاً وسهلاً شرفتم المكان...أى خدمة؟... تحت أمركم... أى شكوى نرحب بها؟ أى سؤال أو استفسار؟» وهنا سأله أحد العلمانيين الذين معنا: «لو سمحت يا سيادة اللواء عاوزين نعرف أمتى الإفراج؟» أجاب على الفور « والنبى يا ابنى أنا نفسى ما أعرفش، ما عنديش أية معلومات فى هذا الشأن... ومع ذلك أما جيت لقيتكم بتصلوا... صلوا يا تقلبوها زى ما قلبتوها... يا تعدلوها!!» .

وما دمنا بصدد ذكرياتنا فى السجن والليمان فلن أنسى أن أسجل حادثاً عجيباً واعترافاً آخر جديدًا، فلقد دأبنا منذ دخلنا سجن المرج أن نفتتح كل صباح من أيام سجننا بالصلوات المنتظمة السبع، كل صلاة فى موعدها وكنا ننهى صلاة باكر من كل يوم بأربعمائة سجدة أو «مطانية» بصوت جماعى يدوى بين رحبات السجن ونحن نصرخ ونقول «كيرياليسون

كيرياليسون!!» فكانت الصرخات الصاعدة من قلوب مظلومة ومكلومة تهز أرض السجن هزاً حتى كادت تزلزل أركانه، حيث جاءنا المأمور يستغيث بنا وهو يقول « أيه اللى بتقولوه ده؟ ده السجن بيتزلزل أيه يعنى سون سون؟؟»

فقلنا «هذه كلمة يونانية من مقطعين «كيريه= يارب» «ليسون= ارحم» فقال:

« طيب ما هو ربنا رحمكم أهه» ويقصد «موت السادات بشكل وموعد لم يخطر على بال أحد» فقلنا له «لأ لسه برضه» قال مبتسماً: «والنبى أنا خايف على نفسى كمان!! وقال وهو يودعنا: «طيب بس لو سمحتم على مهلكم شويه لحسن أنا حاسس أن أعمدة السجن تتزلزل والسجن حيقع!!».

إذا كانوا قد قالوا «وراء كل عظيم امرأة» فأنا لا أستطيع أن أسمى نفسى عظيماً فما العظمة إلا لله تعالى، ولكنى- وبفخر- أدعو نفسى «سجيناً» والحق أن ورائى كانت امرأة وما هذه المرأة التى كانت من ورائى سوى زوجتى الفاضلة الشجاعة، فقد كنت تركتها لرعاية شقيقتها التى كانت تعانى من المرض الخبيث، وذهبت أنا وحدى إلى «أبو قير» كما ذكرت فى السطور السابقة، ذلك لأريح أعصابى قليلاً، وما كنت أدرى أن القدر يلاحقنى بل ويسبقنى إلى هناك، وأن راحة الأعصاب التى أنشدها لم تكن فى أبى قير، بل كتبت لى بين قضبان السجون وساحات الليمان!!

أما زوجتى فقد كانت فى بيت أبيها حيث عاودها «زائر الفجر» فى نفس الساعة التى عاودنى فيها فى مصيفى، وطلبوها أن تصحبهم إلى بيتها للتفتيش، فاصطحبت شقيقها إلى هناك، وفى الطريق رأت عجباً... رأت شارع الأفضل وشارع الجيوشى وما حول بيتى مرشوشاً برجال الأمن وعربات الأمن المركزى والسيارات المصفحة والجنود من مختلف الرتب، ولكن زوجتى المؤمنة لم تخف شيئاً بل فتحت لهم أبواب منزلها وحجرات بيتها فأخذوا يبحثون ويفتشون وينثرون على الأرض أوراق وكتب المكتبة وهى ضخمة تحوى آلاف الكتب- فسألتهم فى انفعال: «ماذا تطلبون وعما تبحثون؟» قالوا لها «عن الأسلحة»!! فأخذتهم وأشارت إلى صليب ضخم من البلور موضوع فى ردهة البيت كنا قد استحضرناه معنا من أمريكا وقالت لهم «هذا هو سلاحنا الذى لدينا» فخجلوا، ثم عادوا يبحثون عن شىء آخر.. ماذا بعد؟ صاح واحد منهم وقال «لقد وجدتها» وإذ بهم يمسكون بعض أوراق مكتبى وهى عبارة عن «أصول محاضراتى وأشرطتى التى سجلتها مدافعاً عن عقيدتى»!! فقالت زوجتى « أنتم تبحثون عن الأشرطة؟ تعالوا أريكم ها هى» فوجدوا علبة من الكرتون

أحصوا ما بها فإذا مجموعها ١٨٠ شريطاً أخذوها عن آخرها، وكانت هى ضالتهم التى يفتشون عنها!!

عدة أسئلة راودت الشعب: القمص بولس عضو مجلس الشعب وعضو اللجنة المركزية، والصحفى رئيس تحرير مجلة مارجرجس، والأستاذ بالكلية الإكليريكية، ورائد الوحدة الوطنية بشبرا، وعضو لجنة الشئون الدينية بحزب مصر، وحامل نوط الامتياز من الطبقة الأولى، والحاصل على ميدالية الشئون التقديرية، والميدالية الفضية للعمل الاجتماعى، ورئيس الضمان الاجتماعى بشبرا، وعضو مجلس إدارة المؤسسة العلاجية بمحافظة القاهرة، وعضو نقابة الصحفيين، وخطيب الحفلات، وحبيب المسلمين والأقباط، وما إلى ذلك من ألقاب...كيف يعتقلونه...ولماذا؟

ذلك كان السؤال الذى يرسم علامات تعجب واستفهام...كيف...كيف يعتقلونه؟ الجواب أنه لم يكن مثيراً لفتنة بل كان ممتصاً لغضبة الشباب الذى ثار على من يثير المشاعر، ويثير الفتنة بين الأقباط والمسلمين.

كان القمص بولس بوصفه رائد الوحدة الوطنية ونائب شبرا السابق يعمل على امتصاص غضب شبرا فحاول أن يرد على ذلك الذى ينفخ فى بوق الفتنة، وكان رده غاية فى الأدب والهدوء والتهذيب، كما اعترف بذلك العميد نبيل عيطة مدير المباحث وكان رده من نفس المعين الذى يتكلم منه، وقد وجد فى آيات القرآن أعظم مدافع عن السيد المسيح، وأعظم شاهد لمبادئ المسيحية ولقائد المسيحيين الذين هم «أكثرهم مودة للذين آمنوا» ذلك «بأن منهم قسيسين ورهباناً» إلى آخر الصفات الجميلة التى يخلعها القرآن على المسيحية والمسيحيين!!

ورحم الله سعد زغلول الذى قال قولته المأثورة «قبل أن تقول للباكى لا تبك قل للضارب لا تضرب» ولكن انقلبت الآية فقد تركوا الضارب يسرح ويمرح وهو يضرب ويضرب، ولما بكى الباكى لم يمسحوا دموعه بل ألهبوه ناراً وسعيراً وحسبوه مثيراً للفتنة فحبسوه «وكم فى الحبس مظاليم» كما يقولون!!.

وليتهم اعتقلوه وحده، بل اعتقلوا معه ٨ أساقفة و ٢٤ قسيساً وعشرات من الأراخنه، وكبار الشخصيات.

منذ آلاف السنين لم نقرأ أو نسمع عن حدث تاريخى مثل هذا، إن ما حدث للبابا والأساقفة وللكهنة لم يسبق أن حدث مثله؛ لم نسمع أن باباوات ومطارنة وأساقفة وكهنة يساقون إلى الزنازين وكأنهم من المجرمين الخطرين!!

وفى كتاب «السادات والبابا»...أسرار الصدام بين النظام والكنيسة يذكر مؤلفه الأستاذ أنور محمد فيما يذكر علامات التعجب الكثيرة، ويسجل نقده الكبير لنظام السادات يوم أصدر قراراته السبتمبرية المشئومة باعتقال قداسة البابا وثمانية أساقفة وأربعة وعشرين قسيساً فى «مكان آمن!!» الأمر الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ عبر السنين الطوال!!

ولشد ما كانت دهشته يوم أصدر السادات فيما أصدر من قرارات بحل مجالس إدارات ثلاث عشرة جمعية خيرية، كان من بينها «جمعية الكرمة للمكفوفين» وقد حصر المؤلف دهشته حول هذه الجمعية بالذات، إذ كانت السيدة جيهان السادات الرئيسة الفخرية لها ومع ذلك وبرغم هذه الرئاسة، يحل المجلس رئيسه فى غياهب السجون «وتقدرون فتضحك الأقدار؟!!».

ولعله من الطريف أن نضيف إلى هذا الباب وصفاً رائعاً للسجن بقلم الدكتور ميلاد حنا وبأسلوبه الفريد، اسمعوه يقول: «فى الوقت الذى لا تتسع فيه الزنزانة لأكثر من فرد، كان عدد الواردين إليها يزداد كل يوم».

كان المعتقلون يأتون من كل فج عميق، وعلى اختلاف الرتب الكهنوتية أو العلمية الأمر الذى اضطرنا جميعاً أن «نحشر» كل ثلاثة فى زنزانة.

أصبح النوم مستحيلاً والحركة غير ممكنة كما أصبح التقلب– من جنب إلى جنب– يحتاج إلى استئذان لما يسببه من قلق للآخرين!! وتذكرت أسياخ الكباب المتلاصقة عند «الحاتى» كما أدركت أن هناك نقصاً فى مواثيق «حقوق الإنسان»– لأنها لم تكفل للمواطن– حتى الآن حق النوم على «الجنب اللى يريحه».

ولعل رائحة الزنزانة وما تفوح بها من عرق ممزوج برائحة المرحاض كانت وراء حالة «الغثيان» العقلى والنفسى والوجدانى التى اجتاحتنى طوال تلك الفترة اللعينة!! أما الشقوق التى ملأت الحوائط والسقف، فكانت تؤوى أعداداً لا حصر لها من الصراصير والحشرات التى لا نعرفها، ناهيك عن التحركات المفزعة لبعض الأبراص، وتساءلت فى نفسى: هل حصلت كل هذه الكائنات على تصاريح بالدخول؟.

صفير الناموس، وما يثيره من «أحلام كابوسية»، لدغته المدروسة فى الأذن والأنف، ثم ذلك القلق الذى يبعثه حتى الصباح!.

عندما سألت عن أسباب كثرته أجابنى السجان «عم عبد الغنى باشجاويش السجن» : لأننا بالقرب من مصرف المجارى المتجه إلى مزرعة الجبل الأصفر! كانت الإجابة مقنعة فلم أعد أسأل.

فها هم غلمان سجن المرج يحملون «صفيحة» من ذلك النوع المستخدم فى جمع القمامة من المساكن الشعبية، تفوح منها رائحة الزيت العفن، صاح أحد الصبية: كل واحد يجهز «قراونته» تناولنا طعامنا «الشهى» بعد جوع طويل، وأشهد أن الأرغفة كانت ساخنة حتى استطاعت أن تلمس بدفئها كل المساحات الباردة والعميقة داخلنا.

لحظات ومر سجان آخر يحمل صفيحة مماثلة، ولكنها تحتوى على الجبن الأبيض، وناولنى السجان بيده المتسخة قطعة جبن صغيرة حملها كل منا على طرف رغيفه، وراح يأكل فى متعة ونهم!! وهكذا مرت الأيام فلن نعد نشكو من الجوع، كما تعودنا ظلام الزنازين، ناهيك عن اكتشافاتنا الثمينة، فقد عرفنا أن الفول يحتوى على «بروتين حيوانى» يتمثل فى ذلك «السوس العظيم» كذلك الجبن الأبيض وما يحمله من «بروتين مماثل» يتبدى فى «الدود العظيم» ولكن ثمة فارقاً أساسيًا أن السوس كان ميتاً، بينما الدود كان حياً!

ثم توالت الوجبات، فكان طعام الغداء غالباً من العدس، ويالها من وجبة ثمينة إذ لم يكن قد ظهر بعد ما سمى «بأزمة العدس» ولا أدرى ماذا يفعل السجناء الآن، بعد أن أصبح العدس «شهوة الأثرياء».

ومن طرائف تلك الأيام حكايتى مع نيافة الأنبا صموئيل، الذى راح يتردد على زوجتى وأولادى مواسياً ومطمئناً ومؤكداً لهم أننى لا أقيم فى سجن، بل أعيش فى قصر أحد أمراء العائلة المالكة بمنطقة المرج، وهو نفس القصر الذى أقام فيه رئيس الجمهورية الراحل محمد نجيب!! وإمعاناً فى إقناع زوجتى بصحة ذلك، راح يقص عليها كيف أقضى وقتى فى زراعة حديقة القصر مع باقى الأساقفة مستمتعاً وسعيداً بالإقامة التى لم تخطر لى على بال.

واطمأنت زوجتى تماماً بعد أن أخبرها أن مندوبه وسكرتيره الخاص وهو جرجس أفندى يذهب كل يوم- فى قصرى- للاطمئنان علىَّ... وهكذا تأكدت زوجتى من صدق رواية الأنبا صموئيل وأيقنت أننى بين أيد أمينة، والأنبا صموئيل هو نفسه كان مخدوعاً فى هذه الرواية ولكنه كان ينقلها كما كانت تنقل إليه.

ومن ثم فالحكومة صادقة فيما سمته «بالتحفظ فى مكان أمين» فلا بأس من إجازة مجانية سعيدة...وإجبارية فى ضيافة حكومتنا الرشيدة.

وفى الأربعاء ١٤ أكتوبر فوجئنا بالأوامر أن نستعد للرحيل... البسطاء قالوا إنه الإفراج، والآخرون ضربوا أخماساً فى أسداس وسننقل إلى القلعة أو إلى طرة للمحافظة

على حياتنا...وفى انضباط صارم وخطوات محسوبة خرجنا من سجن المرج كله فكانت لحظة وداع سعيدة لسجن قاسٍ مرير... ما أن عبرنا الباب الضيق الذى تحتويه بوابة السجن الكبيرة إلا ووجدنا قوة أمن هائلة مدججة بالسلاح وعدداً كبيراً من الضباط وعلى رأسهم لواء... دفعنا إلى اللوارى دفعاً فإذا به صندوق مصمت مظلم فيما عدا فتحات قليلة للتهوية عليها شبك ضيق... انحشرنا داخل اللوارى حشراً؛ حتى صرنا كعلبة السردين، يحاول كل منا أن يجد لقدمه موقعاً بين الأمتعة المتناثرة أو يجد لكفه مكاناً يعلق نفسه فيه، فقد كنا جميعاً نتعرض للسقوط كلما حاول اللورى إبطاء السرعة أو الوقوف، ولكننا كنا على أى حال سعداء؛ فقد كانت أكتافنا متلاصقة، وشعرنا لأول وهلة أننا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً!

وبلغنا إلى وادى النطرون وكانت إقامتنا فى غرفة واحدة واسعة، ولكنها كانت قبل ذلك مهجورة يملؤها الفئران والصراصير وداخلها دورة مياه قذرة وحقيرة، و رغم ذلك قد سرنا بصحبة بعضنا البعض دون قيود، إلى هنا انتهى وصف زميل التجربة الدكتور ميلاد حنا.

رأينا «الأنبا بنيامين» أسقف المنوفية وقد كان «بلديات الريس» وكم حسدناه على أنه «هيئة سياسية»! وهذا «الأنبا بيمن» أسقف ملوى الراحل وقد كان قريبا من رجال الأمن، ولكن صدق من قال إن هؤلاء وأولئك ليس لهم صديق «اللى متغطى بيهم عريان»! ورأينا «الأنبا بيشوى» مطران دمياط وكان أسقفاً مرموقاً؛ لأنه الابن البكر لقداسة البابا، ورأينا «الأنبا فام» أسقف طما ولم يكن قد مضى على رسامته شهور، وهذا «الأنبا ويصا» أسقف البلينا، و«الأنبا أمونيوس» أسقف الأقصر، ورأينا «الأنبا بموا» أسقف الأديرة القبلية، الرجل الذى لم يكن له فى السياسة ناقة ولا جمل، وكان آخر زبون يشرف الزنازين: هو «الأنبا تادرس» أسقف بورسعيد وقد كان فى تلك الفترة فى قبرص لمأمورية كنسية، وهناك علم أنه مطلوب القبض عليه وحاول أبناؤه إبقاءه فى قبرص وترحيله إلى أمريكا حيث تقطن أسرته وله فيها عشرات الأصدقاء ولكنه أبى الهروب مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله، على أن يكون له تمتع وقتى فى قبرص وأمريكا...وهذه الرواية قصها علينا الأب المحبوب القمص بيشوى غبريال راعى كنيسة لوس أنجيلوس.

ومن الطريف أيضاً أن أحد العلمانيين الذين كانوا معنا الصحفى سمير تادرس وكان قد اختار موقعه فى رأس الزنازين بالقرب من باب السجن وقد كان يتخاطب مع صديقنا الشهم الدكتور ميلاد حنا، وهكذا كانت تحدث مخاطبات مستمرة بين زنزانة سمير رقم ١

وزنزانة ميلاد رقم ٨ ولست أنسى وأنا فى صدد الحديث عن الدكتور ميلاد أنه قد دخل فى مجموعة رجال الدين على سبيل الخطأ، إلا أنه سياسى مخضرم فلما تنبهوا إلى هذا الخطأ سارعوا فصححوه ونقلوه إلى مجموعة كبار السياسيين، فخسرنا صحبته الجميلة التى كانت لنا أكبر معزٍ ومسلٍ فى محنتنا.

وهل ننسى ونحن نذكر السجون مشاعر كنائس القاهرة ولجان سيداتها اللواتى ما كان يحلو لهن هدوء أو راحة حتى يقمن بطهى عشرات الأصناف من الأطعمة، ويرسلنها إلينا فى السجن، ولا ننسى الفواكه المستوردة وجميع الأصناف حتى «اللب والسودانى والمصاصات» وكأنما نحن أطفال صغار، يردن أن يرفهن عنا بكل ما ملكت أيديهن، بارك الله فى المرأة القبطية العظيمة! وهل ننسى الابن المبارك الشهم الأستاذ جرجس مندوب أسقفية الخدمات وسكرتير الشهيد الأنبا صموئيل، الذى كان نعم «المراسلة» يزورنا كل يوم ليلمس احتياجاتنا، ثم يزور أيضاً بيوتنا وعائلاتنا ليطمئنهم على حياتنا.

أجل لقد انقلب السجن إلى كنيسة، وإلى كلية إكليركية مسائية؛ فكان نصيبى فيها الوعظ يومياً، وكان الأنبا بيشوى والمتنيح الأنبا بيمن والقمص تادرس يقومون بشرح الكتاب المقدس بعهديه، وكان الأنبا فام يقوم بتدريس التسبحة والألحان، وكان القمص إبراهيم عبده يقوم بتعليم الترانيم، وكان الأنبا بنيامين والأنبا تادرس والأنبا أمونيوس والأنبا بموا يشاركون فى الوعظ والتعليم، وكان القمص زكريا بطرس الخادم المضحى والأخصائى فى «شغل الإبرة» يرتق ملابس المساجين» اللى همه إحنا.»ويضع نمرة المسجون فوق ملابسه فكان نعم المعين ونعم الزميل الأمين.

ومن الأحداث التاريخية التى لن تنسى أننا قمنا بقداسات ليلتى الميلاد والغطاس. وكانت قداسات عجيبة يشترك فيها ٨ أساقفة و٢٤ كاهناً ونحو ١٠٠ شماس... بل والأكثر من ذلك فقد رسمنا شمامسة: الدكتور نبيل طبيب من سوهاج والأستاذ عبد المسيح بسيط «القمص عبد المسيح الآن بمسطرد» واحتفلنا بمولود جديد «حادث سعيد» للقمص صموئيل ثابت بالإسكندرية « كاهن شيكاغو الآن» وبمولود آخر للقمص إبراهيم عبده ونحن فى السجن فأقمنا لهما حفلات «السبوع» وأضأنا لهما الشموع وقمنا بالصلوات وإلقاء خطب التهانى لوالدى العريسين الجديدين وقمنا «بصلاة الغائب» من أجلهما فألف مبروك مرة ثانية.

ومن المعجزات التى لن ننساها شفاء مسجون احترقت يداه من «فرن السجن» وقرر طبيب السجن بتر ذراعيه، فأصر الأساقفة والكهنة على علاجه على حسابهم مهما كلفهم

هذا من مال أو نفقات أدوية، وكان بين المعتقلين معنا سبعة من كبار الأطباء يتقدمهم جراح كبير هو الدكتور حلمى الجوهرى، فطلبنا منهم بذل جهد فى شفائه وفعلاً حاولوا وكلل الله مساعيهم بالنجاح، فإذا بالسجين الذى يقسم ويصيح: «والنبى أنا عايز أبقى زيكم».

وقد بلغت قسوة رجال مباحث السجن إلى حد معيب، فقد منعوا عنى حقيبة ملابسى التى كانت زوجتى قد بعثت بها إلىَّ، حيث إننى دخلت السجن دون سابق ترتيب...والحق أن الأنبا بنيامين كان قد تلقى «روباً» فخماً من أبنائه الرهبان فقدمه إلىَّ عندما أحس بأنى فى مسيس الحاجة إليه، ولم يكن لى شرف ارتدائه لأنه جاءنى وأنا أنتقل مع زملائى إلى ليمان وادى النطرون، وعند ذلك اكتشفت أن لى حقيبة ملابس سلمتها زوجتى إلى السجن منذ أسابيع فرددت الروب لصاحبه مشكوراً! أما الأنبا تادرس أسقف بورسعيد فقد وقف منى موقف الصيدلى الرحيم الذى يسعفنى بالأدوية التى كانت ترد إليه من صيدلية الدكتور عادل، ومن أبنائه ببورسعيد، وأما الأنبا أمونيوس والأنبا بموا فقد اكتشفت ما كانا يفعلان معى، كلما كنت أعود إلى فراشى؛ فأجد فى ركن منه نصيبهما من الفراخ أو اللحوم وقد تنازلا عنه لشخصى المريض.

وأما الأنبا فام فكان يتحفنا كل يوم بصلوات التسبحة؛ فيروِّح عنا آلامنا وأمراضنا..

وعندما يحين وقت الغداء أو العشاء، كان الأنبا ويصا يشمر عن ساعده ويجلس على حجر عال، ويوقفنا أمامه فى شكل طابور، وبيد كل منا «قروانته» يأخذ فيها «جرايته» بالعدل والقسطاس، وعندما كان يأتى دور الحلوى كان يتولى توزيعها الأنبا بيشوى الذى كان مسئولاً عن ذلك، وعندما كان يقترب من مكانى ينظر إلىَّ فى ابتسامته الوديعة ويقول:» لأ أنت بس مقاس سنتى فى سنتى» وكان ذلك بالطبع خوفاً على صحتى من آثار السكر اللعين.»

عندما قضينا مدة الليمان بوادى النطرون بعد حادث المنصة عدنا إلى سجن المرج فوجدنا معاملة طيبة من مأمور السجن، وقد علمنا أن زوجته الطبيبة كانت لها صديقاتها طبيبات مسيحيات وكن يحذرنها من أن تمتد يد زوجها بالإساءة لنا فكانت تقول له «أوع يا محمود تعامل شيوخ النصارى معاملة سيئة لئلا يدعون على أولادنا زى ما دعوا على السادات وأديك شفت اللى حصل له، وإحنا ما حيلتناش غير طفلين طلعنا بيهم من الدنيا» فكان محمود المأمور كل يوم يسألنا «حد يا جماعة بيشتكى منى؟ حد أكون كلمته كلمة

وحشه أو عاملته معاملة سيئة؟ دى مراتى كل ليلة تعكنن علىَّ وتقولى أوع يا محمود شيوخ النصارى»!! وأخيراً ليطمئن قلب المأمور أحضر إلينا أطفاله فى السجن فصلينا من أجلهم، حقاً لقد كان إنساناً نبيلاً!!

وعندما قاربت أيامى على الانطلاق من السجن، قال لنا المأمور «أنتم بوظتم أخلاقى فأنا لا أصلح الآن أن أكون «ضابط سجن» وأخيراً علمنا أنه أخذ إجازة سنة بدون مرتب وعمل بالتجارة. وهكذا كانت لنا كرازة حتى داخل السجون وتم قول الرسول بولس: «وبخ انتهر عظ فى وقت مناسب وغير مناسب».

وإذا نسينا فلن ننسى موقف الدكتور ميلاد حنا الذى أقحموه فى صفوفنا إقحاماً فهو رجل السياسة البارز، ولكنهم أخطأوا؛ إذ حسبوه من رجال الفتنة الطائفية أمثالنا فزجوه معنا، والحق أن رفقته لنا كانت لذيذة هونت علينا كثيراً من متاعب الزنازين! وكعهده لا يخشى شيئاً ولا يرهب، حتى وهو بين قضبان السجون سمعناه يوماً يصيح ويثور من بعض المعاملات، ثم يصل به الهياج إلى حد التطاول على السادات وهو فى أوج سلطانه، فأخذ يسب ويلعن عهده وأيامه السوداء، فخاف كل منا من هذه الثورة وتوقعنا بسبب ذلك مزيداً من القهر، وما كنا ندرى أن فى إدارة السجن أجهزة تنصت حتى رأينا كبار المسئولين من ذوى الرتب العالية والنجوم والدبابير قادمين إلى السجن يستجوبونه س.ج وهو لا يرضى أن ينكر كلمة واحدة مما قاله؛ فحكموا عليه بالحبس الانفرادى وهو عقوبة خطيرة للمساجين من أمثاله،ولكن الله سلَّم؛ فما أن مضت على ذلك الحادث أيام قليلة حتى علمنا بحادث المنصة فقلنا بلا شماتة «الله يرحمه» فقد علمنا السيد المسيح: «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويضطهدونكم».

وكانت لنا صداقات كبيرة بكثيرين من رجال المباحث، وكان العميد رجب عبد الحميد قد اعتاد أن يزورنا فى مكتبنا كلما يزور شبرا، وكانت زيارته لشبرا متواصلة، وجاء يوم فى أواخر ١٩٨٠ تفضل بزيارتى، ودعانى إلى مكتبه وهناك بأسلوبه المهذب رجانى أن أوقف سلسلة الرد على الشيخ الشعراوى، حيث إنها كما يقول تثير بلبلة كثيرة فى وسط الجماهير، وأذكر أننى قلت له: يا رجب بك أرجو أن تذكر معى مقولة سعد زغلول: «قبل أن تقول للباكى لا تبك قل للضارب لا تضرب» ولعلك تذكر أيضاً مقولة رجل الشارع المأثورة:«سيب وأنا أسيب». فقبل أن تطالبنى بوقف الدفاع طالب غيرى بوقف الهجوم، أما أن التليفزيون كل

يوم يهاجم ويتهم ويتعرض لعقائدنا وأنا أسكت فأنت ما ترضاش أن أكون شيطاناً لأن الحكمة تقول: «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

ابتسم العميد رجب ابتسامة رجل المباحث وصمت « ورب صمت أبلغ من كلام»

وجاءت ردودنا فى سلسلة محاضرات تهافت عليها الشعب وتناقلت بين الأقصر وأسوان، وكانت الردود بحمد الله كلها من واقع الآيات القرآنية لا من الإنجيل لأن الإنجيل محرف فى نظر المهاجم؛ ولذلك جاءت له من قرآنه غير المحرف ليتم القول «وشهد شاهد من أهلها».

وكان لنا الشرف أعظم الشرف أن ندخل أعماق السجون، حتى نشابه الرسل والأنبياء الذين ذكر عنهم القديس بولس الرسول «إنهم تجربوا من هزء وجلد، ثم فى قيود أيضاً وحبس، رجموا، نشروا، جربوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا فى جلود معزى، معتازين، مكروبين، مذلين».

دخلنا السجن وحقق معنا مستشار بمكتب المدعى العام الاشتراكى فى خمس ساعات ونصف متواصلة، استغرقت ٥٥ صفحة فلوسكاب واستعرض معى أقوالى فى ردودى بالأشرطة الأربعة، فلم يعثر على خطأ أو هجوم واحد، لذلك أنهى تحقيقه بكلمتين «لا إدانة»!

ورغم هذه الشهادة، وهذا الحكم فلم يسمح لى المحقق بالعودة إلى منزلى وكنت أمضيت أكثر من شهر فى الزنزانة، ولكنه آثر أن أعود إلى السجن الذى قضيت فيه نحو ٩ أشهر ملقى على الأسفلت مصاباً بمرض السكر الذى أزمن معى لعدم تعاطى أى علاج بل كان علاج السجن أكثر إيذاءً لى من المرض نفسه.

ومن خلال أسئلة المحقق معى تحسست أنه يريد أن يلتقط كلمة ندين بها البابا، وخصوصاً وهو يعلم أن قداسته كان قد قرر نقلى من كنيسة مسرة إلى كنيسة الوجوة، فكان يسألنى «ولماذا نقلك البابا من أكبر كنيسة إلى أصغر كنيسة فى شبرا؟!» فكنت أجيب «هذا لصالح العمل؛ فكنيسة الوجوة بها كاهنان عجوزان لا يستطيعان أن ينتجا فى الخدمة كثيراً، ولذلك قرر أن أنقل هناك لأضيف إليهما طاقة إنتاج أكبر، مثل ذلك مثل قائد الجيش الذى إذ يجد موقعاً يحتاج إلى دعم وإلى قوة من الجيش أكثر، نقل إلى الموقع قوة أخرى لصالح المعركة». وكل نصف ساعة يحاور المحقق ويداور لعله يستطيع أن يلتقط من بين شفتى كلمة إدانة لقداسة البابا ولكنه فشل وكان فشله ذريعاً، ولما تعب من التحقيق قرر «لا إدانة».

وباغتتنا «غيبوبة السكر» فحملونا إلى «قصر العينى» وهناك بالقصر عنبر خاص، بحراسة خاصة وهو «عنبر ١٤» ودخلنا غرفة الإنعاش واستمررنا هناك قرابة عشرة أيام لا ندرى شيئاً ولا نحس من حولنا، حتى أفقنا ورأينا جيوشاً من الأبناء المخلصين يزحفون إلينا ويزوروننا ليطمئنوا، زارنى كثير من الأحباء الأساقفة مندوبين عن قداسة البابا، والكثير من الزملاء الكهنة، توافدوا من كل مكان، من الصعيد والبحيرة ومن القاهرة كما كان يزورنى أبنائى طلبة وطالبات كليات القصر العينى وزارنى كثير من زملائى أعضاء مجلسى الشعب والشورى والمجالس المحلية وأعضاء الجمعيات الخيرية، وفى مقدمتهم أعضاء «الكرمة» وأذكر أن أحد كبار رجال المباحث زارنى شخصياً واطمأن على صحتى وأذكر أنه قال لى :»ده أنت عال تمام وصحتك زى البمب.. أمال مالك؟ إياك أنت عاوز تهرب من التحفظ؟ « فقالت له زوجتى المتألمة «يهرب إزاى وأنت موجود يا سعادة البيك؟»

كانت جموع الشعب تحضر إلينا لزيارتنا فى المستشفى مكدسة فى الأتوبيسات وكأنها ذاهبة إلى رحلة من رحلات الأديرة، فتحدث ضجة فى طرقات المستشفى؛ الأمر الذى ألفت نظر الدكتور الإنسان هاشم فؤاد مدير عام القصر فأصر أن يحضر لزيارتى مع مجموعة من تلاميذه الأطباء وتحدث معى حديث الأدب والدين.

أما زملائى الشيخ المحلاوى، والشيخ كشك، والشيخ التلمسانى، فكانوا دائمى السؤال عنى عندما تحرج موقف صحتى، وأشهد أنه كان لى مع الشيخ المحلاوى صداقة خاصة ولقاءات معه فى ماتشات الطاولة، دامت حتى بعد الإفراج عنا؛ فكان يتصل بى من الإسكندرية يسأل عن صحتى ويقدم لى تهنئة فى الأعياد ويقول لى: «اوعى تيجى إسكندرية وما تجيش تزورنى...أرجعك تانى المعتقل!» وحقاً كم تفعل الشدائد بالناس، وكم وطد بينهم أصدق العلاقات.

وكم يجمع الله الشتيتين بعدما..يظنان كل الظن أن لا تلاقيا!

ومن ذكرياتى وأنا على عتبات السجن، سواء فى«المرج» أو عندما تفضلوا فرقونا إلى الليمان فى وادى النطرون، تذكرت قصيدة للشاعر المهجرى خليل مطران، اسمعوه يقول:

قل للرئيس إذا مررت بسجنه..إن السجون معاهد الأحرار

إن يحجبوك فإن فكرك رافع...نوراً تضاء به سبيل السارى

كم تحجب الظلمات طوداً شامخاً... فيلوح فوق ذراه ضوء منار

إنا لنسمع من سكوتك حكمة... ونرى هدى فى وجهك المتوارى

الأنبياء انتابهم زمن به... لزموا التفرد عن رضى وخيار

لجأوا إلى الخلوات واحتسبوا بها...شظفى المعايش لابسى الأطمار

ومن الغيابات التى أمسوا بها... بعثوا الهدى كالشمس فى الأزهار

سل موحشاً فى «طور سيناء» سامعاً...كلم المهيمن فى اصطعاق النار

سل «طيف جلجثة» وقد ترك الطوى...منه ضياء فى بياض إزار!

ونحن فى السجون عندما تضيق بنا الدنيا، وينفد من بعضنا الصبر، كنا نعقد فى فناء السجن بعض الندوات، فيذكر كل منا ما يذكر من الطوائف والمسامرات، وكان من نصيبى أن أذكر ما كان من ذلك الشاعر الطريف الذى وقف لأول مرة بين يدى الخليفة العباسى المتوكل مادحاً، وهو الشاعر البدوى القرشى الفصيح المطبوع، فلم تسعفه قريحته بأجمل من هذا الكلام يقوله للخليفة:

أنت كالكلب فى حفاظك للود... وكالتيس فى قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمناك دلواً... من كبار الدلاء كبير الذنوب!!

ويدهش الحاضرون فى مجلس الخليفة من هذا الشاعر الذى يمدح الخليفة بأنه كالكلب وكالتيس وكالدلو الذى يحمل المياه ويجلبها- كثيرة الذنوب- أى غزيرة من قاع البئر.

لكن الخليفة المتوكل لا يغضب بل يحيى الشاعر ويقدم له داراً، جميلة على شاطئ، ذات بساتين رائعة غناء.

وكان من القصص الطريفة التى ذكرتها فى ندوة من تلك الندوات هذه القصة:

زار أحد الهنود وقد بلغ سن الشيخوخة مدينة الهند القديمة، واستوقفه فيها متجر يبيع المرايا، ولم يكن رأى مرآة من قبل، فابتاع مرآة ولما نظر فيها رأى «شيخاً عجوزاً بلحية مستديرة بيضاء فقال لابد أن هذا كاهن عظيم، وانهال على المرآة تقبيلاً ولمساً بغية التبرك بها، وعاد الشيخ إلى قريته وشغلته المرآة كثيراً حتى إنه وضعها تحت وسادته وجعل يقبلها أكثر الأحيان، ولاحظت زوجته انشغاله عنها بهذا الشىء الذى جلبه من هذه المدينة، وقالت فى نفسها: لابد أن إحدى نساء المدينة أغرته وأعطته صورة لها، فغافلته ذات يوم وسرقت المرآة من تحت الوسادة، ولما نظرت فيها رمتها بعد أن بصقت عليها وقالت: «ياله من رجل أبله!! أهذه العجوز الدميمة هى التى سلبته منى فهام بها حباً؟ أيفضل هذه العجوز علىَّ أنا التى مازلت فى ربيع الصبا ونفرة الشباب؟

وكنا إذا تضايقنا من جو السجن ائتنسنا بحراس السجن، وكان فى مقدمتهم باشجاويش السجن عم عبد الغنى، فسألنا قائلاً: أنا شايفكم بتحكوا حكايات مضحكة، تحبوا أحكيلكم حكاية لطيفة؟ فرحبنا فقال: أراد شاب متخلف أن يجد له عملاً كموظف فى أحد السجون فقدمته إدارة السجن إلى امتحان بسيط، سألوه عن موقع عينيه فأشار إلى فمه، ثم سألوه عن أذنيه فأشار إلى أنفه، ثم سألوه عن يديه فأشار إلى رأسه، فى النهاية أعطوه ورقة الأسئلة وطلبوا إليه أن يذهب ويدرسها مع أحد أقاربه، وعاد إلى الامتحان مرة أخرى فسأله الممتحنون عن موقع عينيه فأشار إلى موضعهما، قالوا: عظيم، وقالوا: أين يدك؟ فأشار إلى مكانها قالوا: عظيم جداً، وأين رأسك؟ فأشار إلى رأسه قالوا: أعظم وأعظم وأخيراً سألوه عن قدميه فأشار إلى مكانهما فقالوا: الحمد لله هذا جميل، وفكروا أن يسلموه الوظيفة، ولكن أحدهم سأله:«من أين تعلمت كل هذا؟» فقال: «من دماغى» وأشار بأصبعه إلى قفاه! فضحك الممتحنون - كما ضحكنا نحن- ولطموه على قفاه وصرفوه بسلام.

كانت علاقاتنا بعد عودتنا من الليمان إلى سجن المرج قد توطدت أكثر، فكانت لنا جلسات وندوات مع القمص تادرس يعقوب الذى كان مستغرقاً فى ترجمة أقوال الآباء التى تخصص فى دراستها، وهو رجل تقى، كما أنه عالم من علماء الكنيسة، أما القمص لوقا سيداروس والقمص صموئيل ثابت فكانا قد تدربا تحت قدمى المتنيح القس بيشوى كامل فرأينا فيهما نعم الأصدقاء حتى إننى لا أستطيع أن أترك أمريكا كل عام إلا بعد أن ألتقى بكل منهما هناك... أذكر أيضاً للقس لوقا إتقانه لكل العلوم حتى «علم الطاولة» الذى برع فيه إلى درجة أننى والقمص صرابامون والقمص إبراهيم والقمص أثناسيوس لم نستطع- متكاتفين- أن نظفر منه ونغلبه ولو دوراً واحداً، حتى إننا حسبناه محترفاً فى هذا العلم يتعيش منه أكثر مما يتعيش من عمله ككاهن أمين وواعظ قدير.

أما الزميل القمص يوسف أسعد كاهن العمرانية الذى كانت تحلو لنا معه العشرة بقدر ما تحلو له مع المسيح، فقد علمنا أنه طلب يوماً من أحد أبنائه أن يستحضر له «كاميرا»، ولعل القارئ يعلم فيما يعلم أن دخول «كاميرا تصوير» إلى داخل أى سجن جريمة كبرى يعاقب عليها قانون السجون، ولكن سرعان ما بلغ الخبر مسامع مأمور وضباط السجن فاستدعوه، والحق أننا خشينا كل الخشية أن يصيبه بسبب ذلك أى سوء فصلينا من أجله وكنا جميعاً شفعاء له لدى المسئولين الذين - بدورهم- عملوا على تبرئته؛ لما يعلمونه عنه من طيبة قلب وبساطة، إذ قد علل لهم إدخاله للكاميرا بأنه أراد أن يسجل ذكريات

غالية عزيزة عليه للتاريخ، وكانت هذه الكلمات الصريحة خير سند أقنع المأمور ببراءة قصده.فعفوا عنه والحمد لله.

وفى مستشفى قصر العينى كان قد سبقنا إلى هناك الزميل القمص صموئيل الذى كان قد أصيب بمغص كلوى شديد، والحق أن غرفته التى انفرد بها كانت أشبه ما تكون بغرفة فى فندق شيراتون– على حد تعبير المتنيح الأنبا بيمن أسقف ملوى رحه الله– فقد كان القمص صموئيل نظيفاً محباً ومحبوباً حتى لدى المرحوم الشيخ التلمسانى الذى شهد له أعظم شهادة.

وبعد دخولنا المستشفى انضم إلينا القمص زكريا بطرس والقمص صرابامون عبده، والحق أن كليهما كانا خير معوان لنا فى مرضنا، استطاعا أن يخففا عنا المرض الأليم، فالقمص صرابامون رجل خفيف الظل سريع الخاطر طيب القلب، والقمص زكريا كان رفيق الغرفة التى أدخلونى إليها بعد الإنعاش، فكانت صحبته خير صحبة، ورفقته أسعد رفقة، لقد اتسع وقتنا ووقته فى السجن إلى أن أصبحنا صديقين تعاطف كل منا مع الآخر، واعترف كل منا للآخر بدقائق حياتنا، فكانت تعزياتنا به كبيرة، واستمرت هذه الصحبة حتى بعد السجن إلى اليوم قوية صادقة، فالقمص زكريا رجل أوجاع ومختبر الحزن، قد تمرس على الضيق والاضطهاد بإيمان بطولى قوى، إنه متعدد المواهب، فهو واعظ قدير، وروحانى كبير له مواهب انفرد بها، وكان فى السجن «خياطاً ماهراً» استطاع أن يحيك ملابسنا الممزقة هناك، واستطاع أن ينسج أرقامنا على هذه الملابس حتى لا تضيع فى زحمة الغسيل وفى دوامة المغسلة.

وأخيراً افتقدناه فى مصر، فكيف لنا بملاقاته وقد ذهب بعيداً بعيداً حتى أستراليا، حيث ذهب إليها قهراً، فيابخت أستراليا به، ويالسوء بختنا فى مصر! حقاً إن مصائب قوم عند قوم فوائد كما يقولون.

وكان بصحبتنا فى هذا المكان أيضاً القمص أثناسيوس بطرس فكان نعم الرفيق والزميل والصديق.

أما القمص إبراهيم عبده فلن أنسى له ترانيمه المنعشه، ونغماته الشجية، فقد كان يعلم المساجين من المسيحيين كثيراً من هذه الترانيم ومن التسبحة الجميلة، والحق أنه دخل السجن وكنا مشفقين عليه لمرضه بالغضروف، ولكنه خرج منه معافى، فقد قال لنا إن البابا كيرلس السادس زاره فى السجن وشفاه.

أما القمص بيشوى يسى كاهن مصر الجديدة ومدينة نصر فقد كان نموذجاً للخادم الأمين المخلص لجميعنا، وبصفة خاصة للمتنيح الأنبا بيمن صاحب الأمراض المتكاثرة، فقد كان نعم المخفف لأمراضه، فقد كان له أقرب من ظله، وأشهد أنى ما كنت أعرف للقمص بيشوى قبل السجن هذه الفضائل العظمى، فشكراً للسجن ومرحى بالنيران، التى تظهر وتصهر وتصقل معادن الرجال.

ولأنى كنت قد سبق أن ذكرت موقف زوجتى البطولى حينما زارها «زائر الفجر» وحينما استضافت رجال المباحث فى منزلها وأجوبتها عن أسئلتهم، إلا أننى تذكرت موقفاً بطولياً آخر رأيت أن أسجله هنا، فلست أتصور- وأنا مريض بقصر العينى- كيف كانت زوجتى تحمل كل صباح هذا المشوار الثقيل المضنى من شبرا حتى المستشفى وهى تحمل بين يديها أصناف الطعام الذى سهرت على صنعه الليل كله حتى تلحقنى وتقدم لى إفطار الصباح، ولست أتصور كيف كانت تحتمل رذالة حراس سجن العنبر رقم ١٤ بالقصر، وما أدراك كم رذالة هذا الصنف من الناس!

ولست أنسى أيضاً كم استمرت زوجتى ذات يوم مع زوجة زميلى القمص صموئيل ثابت خارج العنبر أكثر من ثلاث ساعات وقوفاً فى الشارع تنتظر الأمر بدخول العنبر لمقابلتنا، وكانت زميلتها هذه تحضر يومياً بالسيارة من الإسكندرية حيث كانت تعيش، وكانت تصل مرهقة من متاعب السفر لتطمئن على زوجها، فتجد هذه المتاعب لتزيد من متاعبها.

وهل أنسى أبنائى الذين جاءوا من أمريكا ومن القاهرة (فرانسوا، سمير، فريد) ليفاجأوا بهذه المفاجأة المؤلمة، وكم عانوا وكم عانى أخى وشقيقى فوزى الذى طالما تعب فى الحصول على مقالاتى الوطنية وخطبى ليثبت لهم أنى «رائد الوحدة الوطنية» بشبرا الذى طالما منحوه الأنواط والميداليات، والذى طالما جلجل صوته بين جنبات مجلس الشعب. ولن ننسى ابننا الحبيب الدكتور لمعى عشم الله الذى طالما اتصل بكثيرين من الصحفيين وكثير من الرجال المسئولين ليثبت لهم براءتنا مما نسب إلينا، با إنه رجل من رجالات مصر المخلصين، خدم ولا يزال يخدم القضية الوطنية.

على أثر نجاحى فى عضوية مجلس الشعب بمعجزة فقد فزنا فوزاً ساحقاً أمام أخطر منافس: وزير- مسلم- مليونير، ولكنى أيضاً لم أسلم من حملة افتراءات من بعض النفوس من الأقباط- مع مزيد الأسف- فقد اتهمونى بأننى ممالئ للدولة، وأنى ضحيت بالكنيسة وهيكل الكنيسة ومنبر الكنيسة لأشتغل بالسياسة وأصبحت رجلاً من رجال الدولة.

ويعلم الله أننى من فوق منبر البرلمان لم أنس كنيستى؛ بل جاهرت وبكل شجاعة وصراحة بحقوق الأقباط، ولطالما تحدثت عن واجب الحكومة فى إلغاء «الخط الهمايونى» وهو القانون العثمانى البالى الذى يفرض مائة عقبة فى سبيل حرية الكنائس، حتى إن المرحوم ممدوح سالم رئيس الوزراء الأسبق شكانى للمرحوم الوزير ألبرت برسوم سلامة، الذى- بدوره- نقل هذه الشكوى لقداسة البابا فقال إننى أثير هذه المشكلة من فوق منصة مجلس الشعب؛ الأمر الذى يشكل حرجاً للوزارة، ولكنى على الرغم من هذه الشكاوى لم أسكت فظللت أندد بهذا القانون العفن حتى انتهت مدة عضويتى بالبرلمان، وإلى اليوم أندد به فى كل مناسبة لأن «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

رغم هذا كله فقد كنت متهماً من بعض جهلة الأقباط بأنى«الراجل بتاع الحكومة» إلى أن حانت الساعة- ساعة الفجر من الخميس٣ سبتمبر سنة١٩٨١- ووضعت فى يدى الكلابشات الثقيلة فقبلتها، وزجوا بى- سامحهم الله- إلى زنزانة السجن الضيقة الكريهة، وهنا فقط ظهرت براءتى أمام جميع الشعب- مسلمين وأقباطاً- فهذا «رجل الحكومة» تقبض عليه الحكومة دون أى مبرر وبلا أية إدانة، وهنا لام الناس أنفسهم وندموا على اتهامهم لشخصى وافتراءاتهم لمواقفى المشرفة، ولم يصدقونى حتى وجدونى أعانى فى «غرفة الإنعاش» بقصر العينى من «الأسيتون»، وأوشكت على الرحيل من هذا العالم. وهنا فقط صدقوا أننى لست عميلاً لأحد، ولا ممالئاً لسلطة ما، بل أنا لستُ إلا خادماً شجاعاً صريحاً من خدام الله والوطن، كل ذنبى أننى تجرأت وفتحت فمى لأوضح بعض ما أسىء فهمه من معتقدات.

وأخيراً جاء دور الإفراج عنى بعد معاناة تسعة أشهر فى الزنزانة ثم فى غرفة الإنعاش، وكان المعتاد مع كل من يفرج عنه أن يتقابل مع رجل المباحث الأول العميد نبيل عيطة.

وفى الثامن والعشرين من شهر إبريل سنة ١٩٨٢ جاء دورى أن أتقابل معه، والحق أشهد أن نبيل عيطة رجل نبيل حقاً ومهذب ومؤدب قابلنى بابتسامته الحلوة وشد على يدى وعانقنى وقال: «معلهش يا قدس أبونا معلهش، وإنى أصارحك أننى سمعت لأشرطتك الأربعة على مدى ٤ ساعات وصدقنى لم أجد فيها كلمة واحدة نابية تهاجم أحداً بها فسألته: «أمال ليه مسكتونى وأنا رجل فى سن الشيخوخة وصاحب أمراض، بينما تركتم غيرى يهاجم ويسخر ويجرح ويشرح؟!» فابتسم ابتسامته المهذبة وقال فى خجل: «معلهش هيه مسألة توازن يا قدس أبونا...مش معقول ناخد الشيخ كشك ونسيب القمص بولس»

«معلهش...احنا مننساش وطنيتك وصوتك المجلجل فى مجلس الشعب...معلهش هيه مسألة انتهت وعدت وخلاص وأنت راجل مؤمن ومتزعلش». والحق أن هذه الكلمات الطيبة كان لها أطيب الأثر على نفسى وخرجت من السجن أقوى مما دخلت والحمد لله.

ويختم القمص بولس قائلاً:

وثمة فائدة أخرى من فوائد السجن لى: أن استطعت- بعون الله- أن أضع أربعة كتب طبعتها بعد تنسيقها فور الإفراج عنى وكان أولها «الأقباط وطنية وتاريخ» وقد أعيد طبعه ثلاث مرات فى عام واحد، وثانيها «المنبر النموذجى» وثالثها « أستطيع كل شىء: نعم للأقل لا للفشل» والرابع « ذكرياتى فى نصف قرن» الذى بين يديك الآن.

والحق أن هذه الأيام بل والشهور التسعة التى قضيناها بين جدران الزنزانة لا ولن تُنسى، فقد علمتنا أشياء كثيرة:

١- علمتنا أن الله معنا «وإن كان الرب معنا فمن علينا؟!.»

٢- وعلمتنا أن الله يقضى بالعدل فبعد ٣٠ يوماً لا أكثر ولا أقل استطاع القاضى العادل أن يحكم لنا على الذى حكم علينا ظلماً.

٣- وعلمتنا أن الصبر مفتاح الفرج وأنكم «بصبركم تقتنون أنفسكم».

٤- وعلمتنا أن « ما أحلى أن يسكن الإخوة معاً- حتى فى السجون- كالدهن النازل على لحية هارون، إلى جيب قميصه، هناك أمر الرب بالبركة».

٥- وعلمتنا أن أساقفتنا وكهنتنا وأراخنتنا على مستوى المسئولية، حملوا صلبانهم بشكر، وبفخر وبصبر.

٦- وعلمتنا أن نكون مثلاً أعلى، وقدوة صالحة وننفذ وصية السيد له المجد الذى قال: «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات».

لقد صرح السجانون وحراس الزنازين: «عمرنا ما شفنا زائرين مساجين زيكم» وكانوا كلما يسمعون نبأ الإفراج عن فوج منا يحزنون لأننا كنا دائماً نعطف عليهم بكل ما ملكت أيدينا، كانوا يتمنون أن نبقى معهم إلى الأبد. «فمصائب قوم عند قوم فوائد» كما يقولون.

والحق يقال إنه منذ أن تولى مسئولية الدولة القائد الرئيس محمد حسنى مبارك وهو يستنكر موضوع «التحفظ» من أساسه، وأصدر أمره بالبدء فى عملية «الإفراج» تباعاً،

وفعلاً بدأت تباشير الحرية عندما أصدر أمره بالتيسير علينا ونحن فى المعتقل، فكان أن أصدر العقيد محمود الجميل مأمور السجن تصريحاً لعائلاتنا بإمكانية زيارتنا، وفتح مكتبه الخاص لاستقبال زوجاتنا وأقاربنا به، والحق إن معاملته لنا كانت على أحسن ما تكون المعاملة.

وجاءت أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٨١ بأنباء الإفراج، وفعلاً حدث الإفراج عن الدفعة الأولى وكانوا من أبنائنا العلمانيين، فكانت باكورة مفرحة، وبركة أدخلت إلى نفوسنا السرور بقرب الفرج العام.

وجاءت ليلة رأس السنة- سنة ١٩٨٢- فكانت ليلة ساهرة، سجدت خلالها نفوسنا شاكرة... تخللتها كلمات وتسابيح وصلوات ومزامير وألحان وتأملات بقيادة ثمانية أحبار أجلاء واشتراك ٢٤ كاهناً عملاقاً...وكانت ليلة استبشرنا فيها خيراً والفجر قد لاح.

وهل يفوتنى- فى معرض ذكرياتى- ما تعرضت له ساقى اليسرى من خطر محدق لولا أن الله سلم... لقد تضاعفت آثار مرض السكر الذى أعانى منه والذى عشت به بلا علاج شهوراً فى السجن، وبلغ بى هذا المرض أن هدد ساقى بالبتر، فقد زاد احمرارها وتفاقم الاحمرار إلى درجة الخطر، وأعترف بأن الأنبا بيشوى كان أول المتخوفين على حياتى فى السجن، فبدأ يعالجنى شخصياً بكل ما استطاع حتى زال الخطر.

القمص تادرس يعقوب ملطى

- خبرة جميلة وفرصة عظيمة
- الدكتور ميلاد حنا طلب منى الاستعداد للإعدام
- كنا نصلى على ضوء فتايل وبزيت استخلصناه من الفول

صف لنا كيف تم القبض عليك.

قبل القبض علىَّ أخذوا الشيخ المحلاوى لمدة ٢٤ ساعة فى أمن الدولة، فتخيلت أن يجىء الضابط ويتكرر الموضوع مع الكنيسة، وفعلاً جاءوا بعد منتصف الليل كما لو كان هناك تخوف شديد، الشارع امتلأ بسيارات البوليس ومباحث أمن الدولة، وطلبوا منى أن أكون فى مباحث أمن الدولة «شعرت أن هذا من أجل المسيح فهى عطية السماء» ركبت سيارة البوليس، ثم أخذوا القمص لوقا سيداروس والأب صموئيل ثابت (والأب جرجس رزق الله بعد ذلك) واتجهنا إلى مديرية الأمن، وفى مديرية الأمن لم يكن من حديث؛ بل صمت كامل من الجانبين، ثم توجهنا إلى سجن المرج.

صف لى كيف أمضيت أول ليلة لك فى الزنزانة.

عند دخول السجن كان أمام الضابط مجموعة ظروف مكتوب عليها أسماء الأساقفة والكهنة، فعلمت أنها حركة لمجموعة كبيرة وليست فردية، وصممت أن يعطى لى الكتاب المقدس، بعد يومين أعطى لى الكتاب المقدس.

ماذا خطر بذهنك فى هذه اللحظة؟

أول ما خطر فى ذهنى عبارة قلتها لمن هم حولى: ربما هذا الأمر لن يتكرر مرة ثانية فهذه خبرة جميلة وفرصة عظيمة من أجل المسيح، ثم بدأت عمليات التسبحة رغم أننا فى حجرات صغيرة كنا نسمع بعض، بعض الكهنة والعلمانيين يديرون التسبحة وصلوات الأجبية.

كم كان عددكم فى الزنزانة؟

كل ٨ أو ١٠ فى زنزانة، بعد يومين أصبح كل اثنين فى زنزانة، وأنا كنت مع أبونا بيشوى يسى (حالياً فى أستراليا) والصلاة مع بعض.

ما المواقف التى لم تنسها حتى الآن بهذه المناسبة؟

١- حدث مع الدكتور ميلاد حنا حيث كنا غالباً ما نتمشى معاً لمدة ٣٠ دقيقة فى اليوم وهو المسموح به لنا، قال لى إن مخه كمبيوتر ولن يخطئ، وطلب منى أن أهيئ نفسى للإعدام مع أسقفين آخرين وثلاثة من إخوتنا المسلمين لعمل التوازن فى ذهن السادات وإذا كان هناك رأفة يبقى ٢٥ سنة سجن لنا فى معتقل فى الصحراء، فقلت له بفرح: أنا مستعد، وبعد خروجنا سألته عن الكمبيوتر فقال لى الدكتور ميلاد حنا: «كمبيوتر ربنا أعظم كمبيوتر عقلى» (كان يقصد من ذلك أن أكون مستعداً نفسياً للإعدام لأنه يعرف أنور السادات شخصياً وطريقة تفكيره).

٢- أجمل لحظات السجن عمل القداسات وأخذ اعترافات المساجين فى ليلة عيد الميلاد.

٣- كنا نصلى فى القاعة أكثر من خمسين فرداً على ضوء فتايل استخلصناها من الفول المدمس، كان المنظر سماوياً لدرجة أن أحد الآباء وقد تنيح (القمص يوسف أسعد من الجيزة) حاولٍ تصوير المنظر وكاد يسبب مشكلة فى السجن، ولما وبخه أحد الأشخاص من مجموعتنا (أسقف وطلب منى فى الحوار عدم ذكر ذلك) حيث إن المأمور كلم هذا الشخص وهذا الشخص كلمنا ولم تصل الكاميرا إلى يد أبونا، وبالمناسبة قال أبونا يوسف أسعد بالنص: « أنا سأخرج، أنا سأخرج أول واحد» وبالفعل خرج أبونا يوسف أول دفعة.

٤- كانت فترة السجن لها تقديرها الخاص فقد كتبت مجموعة من الكتب فى تفسير الكتاب المقدس، وكنت أرسلها حتى يمكن نشرها لو لم أخرج من السجن.. مثل إنجيل متى.

٥- كان السجن فرصة رائعة للعلاقات الجميلة فشىء من الصراحة والحب والانتفاع بين الأساقفة والكهنة والعلمانيين.

٦- لم نكن نتوقع فى البداية الخروج لكن ساد السلام فى فكر وقلب الغالبية معاً.

٧- لن أنسى ما حدث فى اليوم التالى من مقتل الرئيس. فى الصباح فتح مأمور السجن باب الزنزانة التى بجوارى وقال للدكتور ميلاد حنا: سأعلن خبراً وأرجو عدم التعليق. فكان رد الدكتور ميلاد حنا (وقد سمعته بنفسى): لعل ليبيا دخلت مصر، فأجاب مأمور السجن بالنفى، عندئذ قال د. ميلاد حنا: يبقى السادات مات، سأله المأمور عن سبب هذه الإجابة، فقال د. ميلاد: منذ أسبوع رأيت فى حلم طائرة سقطت على المنصة وقتلت كل من عليها، هذا ما سمعته بنفسى، وقد دهش المأمور لهذه الإجابة دون تعليق.. ثم ماذا؟ بعد ذلك أمر بفتح كل الزنزانات وأعلن صدور الأحكام العسكرية وقال: (على ما يظن أبونا تادرس)

الرئيس مات فقال أحدنا بصوت عال: يبقى اتقتل، فأمر المأمور أن يدخل الجميع فوراً الزنزانات وتغلق دون تعليق.

قدس أبونا هل جاءت فكرة كتاب معين بعد هذه الأحداث؟

ربما أختلف عن أغلب الذين كانوا معى فى السجن، كان ما يشغلنى ليس تسجيل أحداث معينة تفصيلية وإنما أن أسجل بصدق كيف عاش الكثيرون فى فرح حقيقى وسلام هو عطية من الله وإن كنا فى ضعف أحياناً نخشى ما سيحدث فى الكنيسة فى ذلك الحين لانقطاع أخبارها عنا طوال فترة حياة السادات.

فى رأيك لماذا أطلق على هذه الأيام: أيام التحفظ؟

لأنه لم يلق القبض علينا بتهم معينة وإنما اختير الأشخاص وطلب بعد ذلك وضع الاتهامات، قال لى أحد الرجال المسئولين: تفتكر لما يطلب منا فى الإسكندرية القبض على كهنة سنختار مين غيرك أنت وأبونا لوقا سيداروس؟ فأجبته أن القبض على أى كاهن ولو كان حديث الرسامة أعتبره القبض علىَّ شخصياً فالأمر لم يكن يخص أشخاصاً معينين إنما موقف أنور السادات ضد الكنيسة، فقيل لنا إننا لسنا مسجونين ولكن متحفظ علينا لحماية أرواحنا والحفاظ عليها.

ماذا كان رد فعلك بعد معرفتك بمقتل السادات والأنبا صموئيل؟

بالنسبة لى وجدت هذه الفرصة لكى أحمل فى قلبى كل حب حتى للذين يضطهدوننى، وأننى لن أقبل مطلقاً أن يمر علىَّ مجرد فكر الشماتة فإن هذا لن يليق بالإنسان المسيحى، أما عن مقتله فقد سمعت أحد الحراس (مسلم) فى السجن حولنا يقول لزميله هذه العبارة: (الذى قتل السادات الحقيقى هى الصلوات البريئة لهؤلاء الذين فى السجن)، أما عما حدث للسادات فمع عدم ارتياحنا للتصرف العنيف ضده لكن نشعر أنه درس لكل إنسان فينا يظلم الآخرين.

احك لنا عن ردود فعل الآباء الكهنة داخل الزنزانة.

بالنسبة للكهنة الغالبية العظمى كانوا مملوئين سلاماً وتمتعنا بالصلاة المشتركة معاً، ولكن عدم معرفتنا بأخبار الكنيسة كان يسبب قلقاً لا من جهة حياتنا ولا من جهة عائلتنا بل من أجل الشعب.

حوار أجراه الكاتب: نشأت أبو الخير

القمص لوقا سيداروس

- قرأنا رسالة فيلبى التى كتبها بولس الرسول في سجنه
- كتبت نحو ٢٠٠ صفحة لن تعلن إلا بعد وفاتى

– أبلغتنى تاسونى مارى زوجة أبونا تادرس فى فجر الخميس ١٩٨١/٩/٣ أن ناساً من المباحث حضروا إلى منزلهم وأخذوا أبونا تادرس معهم... تعجبت جداً وسألتها: هل تأكدتم أنهم رجال بوليس؟ هل كان أحد منهم يلبس زياً رسمياً أو تحققتم من شخصيتهم؟ قالت: لا، اتصلت بالمتنيح أنبا تيموثاوس وكيل البابا بالإسكندرية فانزعج للخبر وقال لى إنه ليس عنده فكرة عن شيء...اتصلت بالمرحوم الأستاذ ألبير برسوم أيقظته من النوم فقال لى إنه لا يعرف شيئاً (ملحوظة: ألبير برسوم شغل منصب وزير فى عهد السادات).

– وبعد دقائق دق باب بيتى نفس الجماعة الأربعة قالوا لى إن مفتش المباحث العامة يريدنى... قلت: لا مانع، فتحت زوجتى حجرة الجلوس ودعوتهم فاعتذروا بأدب وبسرعة دخلت ألبس ملابسى وخرجت، جلست أمام مكتبى ألبس حذائى.

مد أحدهم يده إلى بعض الكتب الموجودة على مكتبى...نظرت إليه وقلت: ماذا تفعل؟ رد يده بسرعة وقال: أبداً لا شيء. قال الضابط الكبير: لا تخف يا أبونا دى كلها كام ساعة، فقلت له: من قال لك أنى خائف؟ لعلك أنت خائف...رد على الفور: إحنا فى بيت أبونا لا نخاف...قلت له: حسناً...قال: كبير الضباط مشيراً إلى صورة أبونا بيشوى كامل معلقة فوق رأسى: ده مين...ده أبونا بيشوى؟ قلت له: نعم وقال: هو مدفون فين؟ قلت له: لماذا تسأل هذا السؤال الغريب وأنت تعلم؟ قال: لا والله يا أبونا أنا لا أعلم لأننى ضابط فى الجوازات وأنا منقول حديثاً للإسكندرية: وهكذا كنت قد انتهيت من لبس حذائى ونزلت معهم.

– وجدت أبونا تادرس وأبونا صموئيل ثابت ورجلاً مسيحياً آخر جالسين فى عربة البوليس محوطين بالمخبرين.

وصلنا إلى مديرية الأمن ومن هناك أركبونا ميكروباص نحن الخمسة: أبونا تادرس وأبونا صموئيل والأستاذ عادل بسطوروس المحامى والأخ جورج وأنا...مع أربعة رجال

مباحث وضابط والسائق، وظلت عربات النجدة تسرع أمامنا وتسلمنا من بلد إلى بلد حتى وصلنا سجن المرج.. كل ذلك دون كلمة واحدة من أحد.

– أودعونا الزنزانة بعد التفتيش ودون كلمة واحدة الزنزانة رقم١٥ كان الأستاذ عادل بسطوروس وأنا أول نزلاء بها...سجدنا للرب وصلينا صلاة الساعة السادسة وجلسنا نقرأ رسالة فيلبى رسالة الفرح الشديد التى كتبها القديس بولس فى سجنه. كان أحد الآباء واقفاً يصلى قبل قتل السادات بيوم واحد...وفى أثناء صلاته ودموعه سمعنا صوتاً يقول: خرج الأمر...فالتفت إلى الكاهن زميله فى الزنزانة وقال له: ماذا تقول؟ فوجد زميله مثقلاً بنوم عميق فلم يكن الكاهن هو المتكلم... ولم يكن الصوت صوته...

– فلما سمعنا خبر اغتيال السادات بكى بعض الآباء بصوت مسموع، لم يكن فى قلبهم حب للنقمة ولا بغض حتى نجوا من آلامهم وحكم عليهم هكذا، وهكذا ظهرت نقاوة قلب بعض الآباء وانطباع وصية المسيح على قلوبهم وسلوكهم.

– من أعجب الأمور الرءوس والأحلام التى رآها كثيرون وكان للبابا كيرلس النصيب الأكبر منها، فقبل ترحيلنا من الزنازين فى سجن المرج بيوم واحد رأيت الزنازين تنهار وتنكسر والبابا كيرلس واقف يقول لكل واحد يااللا يا بنى...إلى أن أخرج الجميع بسلام.

– من الأمور التى تمجد الله فيها أن كثيرين منا كانوا مرضى بأمراض مختلفة وبعضهم كانوا متقدمين فى السن (٧٦ سنة) مثلاً ولم يصب أحدهم بضرر بل كانت يد الرب معهم ومعونة إلهية سندت ضعفنا فخرج الجميع أفضل مما دخلوا، رغم ظروف المعيشة فى السجن وعدم وجود العناية الصحية الكافية...بل كانت العناية الإلهية تشملهم...

– خادم أسقفية الخدمات الأستاذ جرجس عبد المسيح هو أول من زار الآباء وقد حباه الله نعمة جزيلة وروحاً وذهناً متقداً– ففى الدقائق التى سمحوا له أن يرانا رغم كثرة عدد المسجونين وهو لا يعرف معظمنا ولكنه حمل رسالة لكل واحد على حدة فتذكر الأسماء والاحتياجات والأحباء والأقارب... بقدرة خارقة، وظل يباشر عمله هذا إلى خروج الآباء جميعاً.

سألت أبونا: هل جاءت فكرة لكتاب معين بعد هذه الأحداث؟ قال: أنا كتبت من ١٥٠ إلى ٢٠٠ صفحة ولن تعلن إلا بعد نياحتى، وسألته: لماذا أطلق على هذه الأيام أيام التحفظ؟ قال: روحوا اسألوا السادات. قلت: يا أبونا نسأله إزاى أنت عايز تموتنا ولا إيه؟ وتعالت ضحكاتنا.

ملحوظة: أبونا صموئيل ثابت فى شيكاغو وأبونا جرجس رزق الله فى السماء.

القس أثناسيوس بطرس

- عندما حقق معى المدعى الاشتراكى
- الأنبا صموئيل بين الهجوم والدفاع
- حكاية القس إبراهيم مع السجن الانفرادى
- دير أبو مقار قام بإصلاحات دورة المياه فى سجن وادى النطرون

حوار أجراه الكاتب: نشأت أبو الخير

تفاصيل قداسة مذبح الجريد

القس أثناسيوس بطرس راعى كنيسة مارجرجس بمنشية الصدر، كان لنا معه هذا الحوار:

أولاً ما الصورة العامة لمصر قبل أحداث الاعتقال عام ١٩٨١؟

قبل هذه الأحداث كانت هناك حالة هياج إعلامى شديد، فإن الأقباط على مستوى الصحف والإذاعة والتليفزيون. كان يتم تناولهم بصورة سيئة جداً وانتقادات عنيفة للكتاب المقدس وتفسيرات مثيرة وبطريقة مهيجة، كان لا بد من الرد عليهم من داخل الاجتماعات والكنائس؛ لأننا لم نأخذ فرصة للرد بهذه الوسائل.

وأين كنت تخدم وقتها؟

أنا فى الأساس كنت أخدم فى دولة نيجيريا وعدت لأنتدب بكنيسة الملاك فى منطقة عشوائية تسمى «عزبة الرئيس بالمطرية» وكانت الكنيسة مجرد مخزن تحت الأرض، وعندما وصلت لتلك الكنيسة تعاطفت جداً مع شعبها البسيط- وبالمناسبة الآن الكنيسة كبرت ولها منارات على ارتفاع ٧ أدوار- وكنت أخدم أيضاً كقائد شباب- وتقريباً هو نفس دور أسقفية الشباب بشكل مصغر- وفى وقت اعتقالى كان قد مر ٧ سنوات على رسامتى كاهناً حيث رسمت فى ١٩٧٣/١١/١١ وكان عندى طفلان هما مينا ومونيكا.

ماذا حدث فى ليلة الاعتقال؟

كان ذلك فى الساعة الثانية صباح الأربعاء ٢ سبتمبر ١٩٨١ حيث دق جرس الباب وفتحت فوجدت أخى الأصغر ومعه مجموعة من الناس ولم أتصور شيئاً غريباً لأن أبى

كان عندى فلم أنزعج، فأنا ككاهن معتاد على زيارة الناس فى أى وقت؛ لذلك توقعت أنها مشكلة من المشكلات التى تحتاج أن أتدخل فيها بسرعة، وفوجئت أن الضيف الذى كان مع أخى يقدم نفسه بطريقة مهذبة بأنه العقيد «فلان»- لا أذكر اسمه ولكن أذكر أنه كان فى قمة الذوق والأخلاق- فتكلمت معه بفكاهة وسخرية عندما قال لى:

- **اسمح لنا بتفتيش الشقة**

فقلت له: لا تنتظر اتفضل فتش قبل أن أخفى شيئاً.

وفى نهاية جولة التفتيش التى تمت بأسلوب راق قلت له: «لا يوجد غير الثلاجة تحب افتحها؟!.» وبنفس أسلوبه المهذب قال: «نحتاجك معنا لمدة يوم أو ثلاثة» وعرفت بعد تطور الأحداث أننى الوحيد الذى قيل له: سوف تمكث يوماً أو ثلاثة، فجهزت شنطة ملابسى ونزلت معه من باب الشقة حيث وجدت مجموعة من الجنود بملابس مدنية أمام باب الشقة وحتى المصعد وفى أسفل العمارة وحتى الشارع حيث هناك صفان متقابلان من الجنود ووجدت سيارة مرسيدس سوداء وركبتها وكانت تسير أمامنا سيارة بوليس نجدة وخلفى عربة أمن مركزى. ووصلت إلى قسم شرطة الشرابية ولم يجر معى هناك أى تحقيق بل أخذونى فى عربة صغيرة حيث جلس بجوارى ضابط برتبة نقيب وتوجهت السيارة نحو شارع كورنيش النيل بعد ذلك إلى سجن طرة ووجدنى الضابط حينما وصلنا إلى مصر القديمة أرفع صوتى بالتسبيح والترتيل إلى أن وصلنا إلى «ليمان طرة» وكانت أبوابه مفتوحة على مصراعيها والأضواء الكاشفة المبهرة تملأ المكان وحينما بدأت أخطو خطوات إلى داخل الليمان فإذا بلواء يتقدم بصوت عال قائلاً: « نحن هنا لا نأخذ مسيحيين، اذهب به إلى سجن المرج»! ورجعت مع الضابط وعدنا من نفس الطريق وهنا تحدث الضابط الصامت طوال الوقت قائلاً:

- **إنت مش خايف؟**

- قلت: «إطلاقاً».

- **من وقت ما استقللت السيارة وأنت تغنى!**

- لا دى مش أغانى دى ترانيم.

- **ولماذا ارتفع صوتك وأنت فى مصر القديمة؟**

- مصر القديمة بها عدد كبير من القديسين فكنت ألقى عليهم التحية لأنى أحبهم.

وعندما وصلنا إلى سجن المرج دخلت لمكتب المأمور «محمود الجميل» الذى وقف لاستقبالى بأدب واحترام وتقدير وطلب منى الجلوس، وعندما دخلت حجرة المأمور شعرت

بالقلق إذ رأيت بعض «عكاكين» عصا الآباء الأساقفة- واستنتجت أن هناك هجمة على الكنيسة كلها. وعدت بذهنى إلى تاريخ كنيستنا القبطية المشهور بالشهداء والمعتقلات والمسجونين ورنت فى داخل قلبى هذه الأبيات من إحدى الترنيمات: «معك يا إلهى... معك كل حين. معك يا إلهى دائماً فرحين». وطلب منى مأمور السجن أن أفرغ ما معى من محتويات وما فى جيبى وأن أخلع صليبى الجلد وكان يقول بكل أدب: «الصليب محفوظ عندنا بكل احترام وأنا أعرف أن زجاجة الزيت مقدسة» وأخذ محفظتى وأخرج النقود كأمانات وسمح لى بمناديل اليد والقمصان وفوطة والكتاب المقدس والأجبية وكل ما معى وضعه فى ظرف وكتب عليه اسمى، وأخذنى مجند سرى من المباحث اسمه «على» إلى الزنزانة وفى الطريق للزنزانة عرفت أن المكان المخصص لهذه الزنازين اسمه سجن التجربة. تذكرت فى صلاة «أبانا الذى» «ولا تدخلنا فى تجربة» فعرفت أن الدخول فى هذه التجربة سوف يدخل معى المسيح ودخلت زنزانة رقم ١٨ فوجدت أمامى الأستاذ د. ميلاد حنا فتعانقنا لأنى كنت أعرفه وقضيت معه وقتاً ممتعاً تحدثنا فيه عن شئون البلد، وفى آخر النهار نقلت إلى زنزانة رقم ٢٢ وكانت ممتلئة جداً حيث تقابلت هناك مع القس زكريا بطرس والقس بيشوى يسى وثلاثة علمانيين ومساحة الزنزانة لا تسع بالكاد اثنين علاوة على أن دورة المياه كانت داخل الزنزانة بدأنا مع الآباء نصلى ووجدنا أن التعزية فى قراءة سفر الرؤيا فكنا نتبادل القراءة والحوار والتأمل وفى صباح الخميس قمنا على صوت عال يقول: «يا إخوانا اسمعونى من فضلكم، أنا اسمى سمير تادرس محرر صحفى بأخبار اليوم معى فى الزنزانة الأنبا ويصا أسقف البلينا فهل يوجد فى بقية الزنازين أساقفة وكهنة؟ سنبدأ التعارف من الزنزانة المجاورة للباب وهنقوم بعمل إذاعة مرتين فى النهار وأى وارد- قادم- جديد يحكى لنا عن آخر الأحداث فى الخارج» وأضاف: «أنا متعود على السجن وسوف أقدم لكم خبرتى» ..وفى أقل من نصف ساعة كنا قد تعرفنا على الآباء الأساقفة والكهنة وكان معنا ٧ أساقفة و٢٤ كاهناً لأنه حتى هذه اللحظة لم يكن القبض تم بعد على الأنبا تادرس أسقف بورسعيد، وتركنا اليوم الأول فى الإذاعة للأستاذ سمير تادرس، أما يوم الجمعة فعندما جاء الأستاذ سمير لبدء الإذاعة قال له الأنبا بيمن: «نحن نشكرك على الخبرة والفائدة، وأنت تعلم أننا مجموعة من رجال الدين ونريد أن نمارس حياتنا بطريقتنا الخاصة، سوف نقسم الأيام على الآباء الأساقفة كل أسقف يقود يوماً نصلى جميع الصلوات وبالليل تسبحة ودراسة فى الكتاب المقدس وندوة مفتوحة وتساؤلات بالغروب» كان هذا البرنامج اليومى، وكنا نأكل أكل السجن فحتى ١٦ أكتوبر لم

يدخل إلينا أكل مدنى- من خارج السجن- إلا مرة واحدة عن طريق المتنيح الأنبا صموئيل، وفى ١٩ سبتمبر دعيت إلى المدعى الاشتراكى أنا والقس زكريا بطرس.

وأول ما دخلنا صرخ المستشار بأعلى صوته فى الضابط الذى كان معى قائلاً: «اخرج به خارج الحجرة وفك قيوده وأدخله إلىّ حراً فهو مواطن حر ليس عليه تهمة مهما كان الأسلوب البوليسى الذى تدار به البلاد» فكانت بداية طيبة، ودخلت فوجدت فى حجرة المستشار الأستاذ عبد المسيح برسوم المحامى أرسله لى الأنبا صموئيل لحضور التحقيق معى، استقبلنى المستشار بترحاب وطلب منى أن أجلس وأول تعبير قاله لى:

- أبونا تحب تشرب إيه؟ وهذا حقك قانوناً.

- من فضلك عايز كوب ماء نظيف، وكررتها مرتين فرد علىَّ المستشار: «ثلاثة بالله العظيم أنا فهمت يا أبونا ما تقصده وسوف أرسل وكيل نيابة لرؤية المياه التى تشربونها فى الزنازين»، وأحضر الرجل لى كوب ماء وكوب ليمون ثم قال:

- يا أبونا لا يوجد لك دوسيه عندى والموجود هو ورقة من مباحث أمن الدولة وأنا لست موظفاً فى المدعى الاشتراكى فأنا قاضى منصة وهذا الأسلوب يريحنى من الناحية القانونية؛ لذلك سوف أسألك سؤالاً إذا أردت أن تجيب عنه فأجب وإذا لم ترد فلا تجب.

وكان السؤال الأول أو الاتهام الأول هو:

- يوم ١٤ يناير كنت تحرض الشباب فى ليلة عيد الغطاس على القيام بمظاهرة ضد الدولة، ما ردك؟ وأجبت: عيد الغطاس إجازة رسمية وكان يوم ١٩ يناير، هذا أولاً. ثانياً نحن عندما نعظ نكون مرتبطين بإنجيل القداس فالمنبر منبر تعليمى ذو منهج، ونحن نتكلم فى الإلهيات والفضائل ولا ننزل بتعليمنا إلى مستوى نتناول فيه الأمور الأرضية من المسائل التى تناقش على المقاهى والنواصى.

- أنت متهم بأنك متعصب دينى ومثير فتنة طائفية، فماذا تقول؟

- أجبت: أولاً أنا أشرح كلمة متعصب، المتعصب فى اللغة هو من يضع عصابة على عينيه فهو أعمى لا يرى، أما أنا فأعرف طريقى تماماً وأخطو إليه بخطوات ثابتة، فلست متعصباً ولا صاحب عصابة، وأرفض أن أكون هذا الشخص، أما من جهة إثارة الفتن الطائفية فمعروف أن أقباط مصر من أساتذة الوحدة الوطنية ما بقيت مصر حتى الآن. وأنا واحد من هؤلاء الأقباط. وبعد أن انتهت التحقيقات وهمست فى أذن المحامى عبد المسيح برسوم - الذى لم ينطق بكلمة طوال التحقيق- قائلاً: «أعطنى جنيهاً» وأخذت منه ٢جنيه أعطيتهما للعسكرى لكى يذهب إلى بيتى ويخبرهم بمكانى فى سجن المرج حيث كان أهلى

لا يعرفون مكان سجنى، وقد عدنا إلى الزنازين وكنت قد استقررت فى زنزانة رقم٧ مع أبونا يوسف أسعد حيث أقمت معه ٤٠ يوماً قصصنا على الآباء ما دار فى التحقيقات التى لم تتكرر إلا بعد مقتل السادات.

- بالمناسبة كيف عرفتم واستقبلتم موضوع موت السادات؟

- فى يوم ٥ أكتوبر جاء المقدم محمود الجميل مأمور السجن إلى منطقة الزنازين وطلب أن تفتح وقال: «غداً بعد انتهاء العرض العسكرى سيأتى الأنبا صموئيل ومعه وفود قيادات وزارة الداخلية لزيارتكم والاطمئنان عليكم، من فضلكم نحن نحتاج إلى تنظيف الزنازين والملابس». وأغلقت الزنازين. وفى يوم ٦ أكتوبر بعد العرض العسكرى لم يحضر الأنبا صموئيل وبدأ الكلام عن الرجل بطريقتين: طريقة تهاجمه بشدة واثنان فقط كانا يدافعان عنه هما القمص بولس باسيلى وأبونا يوسف أسعد الذى كان يدافع بشدة واحتجاج قائلاً إن الذى يمنع الأنبا صموئيل عن زيارتنا إما موته أو مرضه الشديد، وتبدلت هذه الأمسية الروحية لحوار صاخب حيث كان البعض يرى أنه جلس على عرش البابا وباعنا للحكومة.

وفى صباح ٧ أكتوبر كنا أنا وأبونا يوسف أسعد فى الفسحة نصف ساعة يومياً للخروج من الزنازين ووجدنا المأمور يقف مع الأنبا بيمن وسمير تادرس والقس زكريا بطرس الذى كان يسكن معه فى نفس العمارة، فانضممنا لهم. فقال المأمور لسمير تادرس:

- إنت بتقول إنك صحفى فماذا تقول حاستك الصحفية؟ فرد سمير قائلاً:

- بدون فكاكة إما أن يكون السادات قد مات وإما انقلاب عسكرى قد حدث!

فقال المأمور للأنبا بيمن: بالفعل اغتيل السادات أمس فى أثناء العرض العسكرى وقتل معه الأنبا صموئيل. وهنا وجدت أبونا يوسف أسعد يقفز بطريقة هستيرية وهو يردد: «مش أنا قلت... مش أنا قلت؟!».

وأكمل المأمور حديثه للأنبا بيمن: الجماعات الإسلامية عندما عرفت بالأمر أشعلت النار فى سجن طرة وفى المراتب والبطاطين فماذا سوف يفعل الذين بالزنازين؟

قال له الأنبا بيمن: سوف ترى عجباً.

- تضمنهم يا أنبا بيمن.

- برقبتى حضرتك تعرف أن أصغر كاهن فى الموجودين عندنا يقود شعباً يصل إلى ٤٠ أو٥٠ ألفاً فكلهم على مستوى عال من المسئولية. وبعد هذه العبارة طلب منا المأمور الذهاب إلى الزنازين وفعلنا ثم دخل المأمور وأعلن بصوت جهورى: افتحوا الزنازين، وعندما فتحت قال: « أعلنت حالة الطوارئ القصوى فى البلاد لوفاة السادات».

وقال لنا المأمور بعد ذلك: «أنا لا أعرف الطريقة ولكن سأطلب من الضابط أن يقوم بتنفيذ رغبتكم»، ثم غطت المنطقة فى صمت عجيب، وبدأ بعد قليل صوت صراخ هو صوت أبونا يوسف أسعد الذى أعلن فيه موت الأنبا صموئيل مع السادات. ونجا الذين هاجموا الرجل وساعده فى ذلك الأب بولس باسيلى ولكن بأسلوب سياسى.

وبعد أن هدأت الأمور قليلاً رفعت صوتى إلى سمير تادرس وسألته: كيف عرف بموت السادات؟ قال: «أبداً أنا الزنزانة بتاعتى بجوار الباب الخارجى، وكان العسكرى السهران مشغل الترانزيستور والإذاعة طوال الليل تذيع موسيقى عسكرية وقرآن كريم فتوقعت قتل السادات».

وبعد مقتله انتقلنا إلى العنابر بليمان وادى النطرون وذلك فى عربات المسجونين، وكانت العنابر على أحسن ما يكون؛ لأن العنبر الذى ألحقنا به كان مستشفى ومن ١٦ أكتوبر سمح لنا بالجرائد والأكل المدنى والزيارات، ولم يحدث فى داخل السجن أى نوع من أنواع المعاملات المهينة إلا مرة واحدة كانت هناك شدة مع القس إبراهيم عبده الذى رفض الأكل ورمى به من باب الزنزانة فسجن انفرادياً لمدة «يوم» واحد فقط.

وبعد ذلك بدأت سلسلة المحاكمات والتحقيقات تكثر وجاء ٣ لواءات لزيارتنا فى ليمان وادى النطرون وبلغونا أن دير أبو مقار يريد أن يتكفل بنا من الغذاء والملابس والغطاء فرفضت إدارة السجون وقالت إن هؤلاء ضيوف عندنا ونحن لا نكل ولا نمل بضيوفنا، ولكنهم قبلوا من إدارة الدير أن تقوم بإصلاح وتوضيب دورة المياه لنا، ولا توجد فى الليمان أحداث ذات شأن، وعدنا فى ١٦ نوفمبر مرة أخرى لسجن المرج ولكن ليس فى الزنازين وإنها هذه المرة فى عنابر واضح عليها أنها جهزت لنا خصيصاً من جهة النظافة والسراير، وأذكر أن الأنبا أمونيوس أسقف الأقصر عمل السرير كمغارة بالبطاطين لكى لا يراه أحد، وأجمل ما أذكره فى ذلك الوقت هو قداس٧ يناير ١٩٨٢ حيث طلبنا من إدارة السجن أن نصلى ليلة العيد قداساً فى داخل العنابر، وجاءت الموافقة وأخذنا مكتب الضابط وفرشناه كمذبح، وكانت الكنيسة قد أحضرت لنا اللوح المقدس والأوانى واتصلوا بأغلب أسرنا وأحضروا لنا ملابس الخدمة الكهنوتية وطلب الضابط المقيم بالسجن أن يشاركنا المساجين المسيحيون الجنائيون القداس فرحب الأنبا بيمن بذلك.

وصلى الأساقفة القداس فى سجن المرج.

كتب القس أثناسيوس بطرس ما يلى:

أ- تسابيح كيهك:

وتشتهر هذه التسابيح باسم ٧ و ٤.

٧ إشارة إلى سبع ثيؤطوكيات.

ثيؤطوكية مأخوذة من كلمة ثيؤتوكوس ومعناها والدة الإله، سبع ثيؤتوكيات أى سبع مدائح خاصة بوالدة الإله، كل يوم من أيام الأسبوع له ثيؤتوكية خاصة.

٤ إشارة إلى أربع هوسات.

هوس معناه تسبيح.

أربع هوسات أربع تسابيح.

وتسابيح كيهك لها لحنها الخاص المميز ومدائحها الكثيرة الشهيرة وكلها لتمجيد والدة الإله والحبل المقدس والتجسيد الإلهى المجيد.

وكانت فى داخل العنبر رقم ٥ وهو يضم الآباء الأساقفة والكهنة ومجموعة من الأراخنة- جوقة من أصحاب الأصوات الكروانية العذبة وحافظى التسبحة السنوية والكيهكية المباركة. وفى مقدمة هذه الأصوات من الآباء الأساقفة نيافة الأنبا ويصا ومن الآباء الكهنة ثلاثة: أبونا إبراهيم عبده وأبونا صموئيل ثابت وأبونا صرابامون عبده. ومن حافظى التسبحة وقوادها وظلوا يواظبون عليها يومياً حتى فى غير كيهك أستاذ التسبحة نيافة الأنبا فام المسبح الدائم ونيافة الأنبا تادرس ونيافة الأنبا بنيامين.

ونحن نتطلع إلى يوم الخلاص نسبح مع الشعب الذى عبر البحر الأحمر وخرج من أرض مصر بيد عزيزة ونقول لحن خين أوشوت (بالقطع انقطع ماء البحر..). ومع الثلاث فتية الذين تمتعوا بالرابع الشبيه بابن الإله أنشدوا بلحن إربسالين فى لهفة وشوق ومحبة وصداقة تنادى على كل الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والمبشرين والإنجيليين والمعترفين، وفى مقدمتهم جميعاً الملكة الحقيقية والدة الإله العذراء الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة فى المجمع المطول للإبصلمودية المقدسة.

ويبرز فى قيادة الألحان على غرار داود الذى سمى مرتل إسرائيل الحلو. ولقوة التسابيح وعظمتها وتأثيرها فى النفس تمنى أحد الآباء أن يكون معنا مسجل لتسجيل التسبحة وكاميرا لتصوير الآباء الساهرين الذين يشتركون مع السيرافيم.

«أعطيت الذين على الأرض تسبيح السيرافيم، اقبل منا نحن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين، احسبنا مع القوات السمائية»(القداس الغريغورى).

وبقلب واحد تختم التسبحة بصراخ نحو الساكن فى السماء طلباً للرحمة والتوبة: يا ألله ارحمنا كيرياليسون كيرياليسون كيرياليسون.

ب- بركات شهر كيهك:

أولاً: كانت أول بركة نعمنا بها جميعاً السماح لأسرنا بالزيارة بتصاريح من مكتب المدعى العام الاشتراكى.

ثانياً: كلمة حق:

لقد رتب مأمور السجن العقيد محمود الجميل أن نتقابل مع أسرنا فى الصالون الخاص بسيادته فى مكتبه الخاص ووفر لنا كل سبل الراحة والجو الأسرى الكريم لاستقبال عائلاتنا.

والزيارات الأسرية أدخلت الراحة والطمأنينة خصوصاً لإخوتنا ليقفوا على ما وصلت إليه أعمالهم ومشاريعهم التى تعطلت بسبب التحفظ عليهم.

ثالثاً: الإفراج عن الدفعة الأولى:

وهذه الحادثة أهم الحوادث التى جرت فى ذلك الشهر على الإطلاق. حقيقة لم يكن بها رجل واحد ولكن الفرحة أشرقت على وجوه الكل، والسعادة غمرت القلوب. فكل واحد شعر بقرب عودته إلى منزله فالمسألة مسألة وقت لا أكثر.

ربى يسوع أشكر لك حنوك إذ تطلعت من علوك المقدس وأنرت على إخوتنا الذين خرجوا إلى نعمة الحرية، فأعطنا أن نتحرر بالحرى من أسر إبليس وننجو من فخاخه المنصوبة لنا بهذه الصلاة، وحول معناها اجتمع العنبر كله للصلاة شاكراً للمخلص الصالح الذى قال: لا أتركك ولا أهملك.

ج- استقبال العام الجديد عام ١٩٨٢:

العنبر رقم ٥ بسجن المرج يكسوه هدوء مزين بالوقار والتقوى وصمت مقدس. فهناك من الآباء الأساقفة من يصلون والبعض يقرأ فى الكتاب المقدس وآخر فى جلسة روحية مع بعض العلمانيين والكهنة.

والآباء الكهنة ما بين ساجدين أمام الله وقارئ للكتب الإلهية، ومنهم من يسهر الليالى مترجماً كتب الآباء وعلى رأسهم القمص تادرس يعقوب المترجم الشهير لكتب الآباء فى عصرنا... ولكن الكل يرجع إلى كنيسته وشعبه وسهرة استقبال العام الجديد.

وفى ليلة رأس السنة :

اجتمعنا يرأسنا نيافة الأنبا بيشوى أقدم الأساقفة رسامة فى صلاة طويلة تتخللها الألحان والتسابيح. تعلقت نفوسنا بشعبنا الساهر فى مختلف الكنائس مصلين من أجل الكل وسلام بلادنا، ورئاسة قداسة البابا شنودة الثالث، والشعب كله فى مصرنا الحبيبة الغالية.

وامتدت بنا الوقفة حتى الساعات الأولى من العام الجديد.

«بارك إكليل السنة بصلاحك»

وبدأ العام الجديد يناير ١٩٨٢ ولهذا العام فرحتة وأول فرحة أبهجتنا جميعاً أن حنن الله قلوب المسئولين وسمحوا لنا بإقامة القداس الإلهى ليلة عيد الميلاد الإلهى المجيد فخفقت قلوبنا بحمد الله وشكره.

ولد لكم اليوم

«أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب»(لو٢: ١١).

من جهة الحادثة فهى فريدة عبر التاريخ القبطى والتاريخ المسيحى عامة، فمنذ فجر المسيحية وجميع الذين سجنوا من أجل المسيح لم يقيموا قداسات فى داخل معتقلاتهم مع أن صلواتهم كانت تهز أركان السجون، والأبواب المغلقة تفتح على مصراعيها، كما حدث مع بولس الرسول وسيلا فى فيلبى.

أ- المذود الجديد:

ومر بخاطرى منظر السيدة العذراء وهى تجول شوارع وأزقة وبيوت بيت لحم قارعة الأبواب طالبة مكاناً لكى يولد المسيح، وهى مثقلة بالآم الوضع، حتى عثرت على مكان فى وسط الحيوانات، ونزل الرب ضيفاً على مملكة الحيوان وكأنه يقول: من هنا يؤخذ الحمل الذى يقاد للموت والذبح «فهو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩).

وكأنها فى عام ١٩٨٢ لم تجد غير سجن المرج لكى يولد فيه مسيح العالم كله الرب المخلص، فيضىء علينا بمجده ويعطينا السلام والمسرة.

ب- فكرة عن مكان الصلاة:

نحن فى سجن المرج عنبران متقابلان لكل عنبر باب خاص، وطرقة بين العنبرين فى نهايتها حجرة التأديب، ويغلق على العنبرين باب آخر، يمكن إغلاقه وفتح بابى العنبرين،

وهذا ما حدث؛ أغلق الباب الكبير، وأخلينا عنبر العلمانيين وجهزنا مكاناً للمذبح، فاستعرنا مكتب الضابط لكى نصلى عليه.

وقام بتجهيز المكان مجموعة من الإخوة العلمانيين على رأسهم الأب الفاضل القس إبراهيم عبده.

ج- ليلة العيد:

السعادة غمرت الكل بخبر إقامة القداس الإلهى ولا سيما الآباء الأساقفة والكهنة، هؤلاء الذين يلازمون المذبح باستمرار وقداسات شبه يومية بين خدمة جماهيرية أسبوعية وبين قداسات شكر، وقداسات طلب مشورة، وقداسات ترحيم وتعزية، وقداسات طلب معونة...

حرموا من المذبح منذ ٢ سبتمبر ١٩٨١ حتى ٧ يناير ١٩٨٢ فترة لم يكن يظن أى واحد منا أن يعيشها بدون التقرب إلى الذبيحة المقدسة.

د- سر القربان المقدس:

هو سر جميع الأسرار به نتغذى روحياً بجسد المسيح وبدمه الطاهر الغالى تحت أغراض الخبز وعصير الكرمة.

وعقيدتنا الأرثوذكسية أن المؤمن بعد الاستحالة لا يتناول خبزاً وعصير كرمة على بسيط الحال إنما يتناول فعلاً جسد المسيح ودمه الطاهر المسفوك عن خلاصنا.

وهى قائمة على أساس إنجيلى فرب المجد يقول:

«أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى الذى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم. فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟ فقال يسوع: الحق الحق إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق» (يو٦: ٥١-٥٥).

والسيد المسيح أمرنا «أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى» (مت٢٦: ٢٦-٢٨، مر١٤: ٢٢-٢٤).

ونحن نتطلع إلى التناول من سر القربان المقدس بعد طول غياب عن الشركة المقدسة، نشعر أن قوة جبارة تسعدنا فى حياتنا الروحية، وفوائده الروحية كثيرة.

فبالتناول تنال الخلاص وغفران الخطايا.

«يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه».

«ثم أعطانا دواء آخر بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب وهو القربان الذى يغفر الخطايا لمن تقرب إليه بإيمان».

والذبيحة شفاعة عن جميع الناس. ولا سيما عن الذين قدمت عنهم ذبيحة الإفخارستيا، هى بعينها ذبيحة الصليب القائمة بصفة دائمة على مذبح الكنيسة المسيحية شفاعة متصلة.

«ألم يذبح المسيح دفعة واحدة؟ ولكنه فى سر الشكر ليس فى جميع أعياد الفصح فقط بل كل يوم أيضاً يذبح عن الشعب. والذى يسأل فيجيب بأن المسيح سيذبح، ولا يكذب البتة».

فى إقامة القداس الإلهى نتذكر مجىء الرب الثانى فإننا نضع الإفخارستيا ذكرى صلب مخلصنا وموته وقيامته إلى أن يجىء فى مجيئه الثانى للدينونة والجزاء.

«لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكرونى إلى أن أجىء».

ويرتل الشعب: «آمين آمين بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف».

«لأنها (جسد المسيح ودمه) سر موته. وهو ميت عنا ملفوفاً بالخرق فى الصينية كما كان ملفوفاً فى القبر بالأكفان ودمه مهرق فى الكأس كما أهرق فى الجلجثة لما طعن».

والإفخارستيا غذاء لنفوسنا وأرواحنا «إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو٦: ٤٨).

«خبز الحياة الذى نزل إلينا من السماء ووهب الحياة للعالم». فهو خبز الحياة والخبز السماوى وهو شجرة الحياة والمن العقلى والمن المخفى وهو خبزنا الآتى.

وعندما نحتمى فى جسد المسيح ودمه ننقذ من كل ضعف طبيعى ومرض روحى.

المؤمن إذا شرب من دم المسيح يلطخ شفتيه فيكون علامة له. إذا رآه الملاك المفسد الذى هو الشيطان- يهرب منه ولا يدخل جسد المؤمن ولا يفسد روحه.

وبسر القربان ننمو فى الحياة الروحية ونتقدم فى النعمة الإلهية.

«لأن خبز الله النازل من السماء. والواهب الحياة للعالم» (يو٦: ٣٣).

لذلك فإن جسد المسيح إلهنا فى سر التناول ليس حياً فقط إنما هو باعث الحياة فيمن يتناوله باستحقاق.

«ونأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالدعاء جسداً مقدساً ويقدس الذين يأكلونه بطوبة صالحة».

جالت بخواطرنا القيمة الإلهية العظيمة التى للإفخارستيا وعجزنا عن الشكر للفادى الكريم ولمولود المرج المبارك للنعمة الإلهية التى أسبغها علينا فأعطانا أن نتحد بجسده المقدس ودمه الكريم.

سر الشركة والشكر، سر الوحدة والاتحاد، سر الثبوت والثبات، سر القوة والمقدرة.

هـ- الاستعداد للصلاة:

مع غروب يوم الأربعاء ٦ يناير١٩٨٢ بدأ خورس من الآباء فى تسبحة عشية. فالصلاة والتسبيح خبرة لذيذة فى مخاطبة العلى القدير ومقابلة حية مع السيد الرب الإله، ونجد فيها طريقاً للحياة الأبدية. وكلما اقتربنا من الله اكتشفنا جماله، فيقول إن المجوس رأوا النجم المُنتظر منذ زمن طويل، فبدأوا رحلتهم دون تأخير ليجدوا الملك، ووصلوا إلى المذود، فخروا وسجدوا وقدموا هداياهم...إنهم بفعلهم هذا عبروا عن الصلاة فى تمامها وكمالها التى هى عبارة عن تأمل وعبادة.

وما إن فرغ الآباء من تسبحة عشية حتى سمعنا طرقاً على الباب الخارجى للعنبرين. فكان السيد نقيب طبيب مجدى الدسوقى طبيب السجن والسيد ملازم أول شكرى عبد العظيم وتقدما إلى نيافة الأنبا بيمن فتقدمت إلى الموقف وسلما علىَّ وقدما التهنئة بالعيد وكان ما سرَّ قلب الأنبا بيمن:

أولاً: وصول مندوب البطريركية يحمل أدوات الخدمة والحمل والأباركة والملابس الكهنوتية الخاصة بكل أسقف وكاهن وبعض الشمامسة.

ثانياً: الدكتور مجدى اقترح على الأنبا بيمن حضور جميع نزلاء السجن من المسيحيين لحضور قداس العيد. فشكره نيافته جداً على موقفه العظيم قائلاً: هذا أمل لنا نشكرك على تحقيقه ونبل أخلاقك.

وللدكتور مجدى مواقف عظيمة معنا منذ أن كنا فى التجربة وفى أصعب الأوقات.

وفرحنا جميعاً ولا سيما للخبر الأخير، أن يشترك معنا إخوتنا الأقباط من نزلاء سجن المرج الجنائيين. ورفع بخور عشية وتسبحة باكر وبخورها.

و- صلاة القداس:

تقاطر على مكان الصلاة (عنبر العلمانيين) جميع المتحفظ عليهم من الأقباط وجميع نزلاء السجن من الأقباط، ورأس صلاة القداس الحبر الجليل الأنبا ويصا أسقف البلينا، وقدم الحمد فى وسط أفراح ممتزجة بالدموع، دموع توبة ودموع ندم ودموع شكر ودموع تقديس، دموع الجانى الذى كسر القانون فكسره القانون، ودموع المتحفظ عليهم لأجل نشاطهم الدينى.

دموع الأول للتوبة والثانى للشكر على نعمة الألم.

«وهب لكم لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا لأجله»(فى ١: ٢٩).

يارب اسمعنا وارحمنا.

هتف الكل:

كيرياليسون (٣) يارب ارحم.

ارحمنا يا الله اسمعنا وارحمنا.

وبعد صلاة تحليل الخدام نهض خورس الآباء هاتفين بالهيتنيات وأضافوا إليها الطلبة الخاصة بعيد الميلاد بصلوات الشيخين المباركين يوسف النجار والقديسة سالومى؛ يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا.

«هيتنى أفكى أنتى نى خللوى أكزماروؤت يوسف بى هامش نيم نيئثؤاب سالومى: أبشويس...».

ومرد الأبركسيس:

«السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التى ولد فيها المسيح آدم الثانى».

وبعد قراءة الأبركسيس قيلت القطعة الروحية:

اليوم البتول تلد الفائق الجوهر، والأرض تقرب المغارة لغير المقترب إليه، الملائكة مع الرعاة يمجدون، والمجوى مع الكواكب فى الطريق سائرون لأن من أجلنا ولد صبياً جديداً الإله الذى قبل الدهور».

ثم هذا اللحن:

الميلاد البتولى والطلقات الروحانية عجب عجيب كالأخبار النبوية.

بى جينميسى أمبارثينيكون...

وبينما أطوف بدورات البخور ما بين البولس والأبركسيس بحثت كثيراً عن أبونا بيشوى يسى ووجدته فى نهاية العنبر يجلس بين النزلاء هم ببدلهم الزرقاء وهو بالروب الأسود الكهنوتى يتلقى اعترافات قبل التناول.

ورأيت دموع التوبة تنهمر منهم، وشدنى منظر أحدهم دموعه تداعب جوانب فمه وهو يرتل الألحان الكنسية مشتركاً مع خورُس التسبيح، وكان مجيداً للألحان ويرتلها بعذوبة فائقة.

وكل من اعترف صمم على بداية جديدة وحياة شريفة فى حضرة الرب الملك الآتى لخلاصنا.

وكأنما صوت اللص اليمين عبر القرون يتردد على ألسنة النزلاء: إننى لست قصة منذ عشرين قرناً، ولست صوتاً عبر مع الزمن، لكننى حقيقة مع كل لص تائب، ومع كل سارق للملكوت، ومغتصب للسماء.

فمن تاب منهم أصر على اقتحام الملكوت مع اللص اليمين، بهذه العبارات همست فى أذن الأب الموقر بيشوى يسى، الذى جمعنى به السرير المجاور والدور الثالث.

لم نعد بعد فى سجن المرج وإنما كسرت كل حواجز السجن وجدرانه وقيوده، بل حواجز الكرة الأرضية وقوانين جاذبيتها، واختطفنا إلى السماء مع تسابيح ليلة عيد الميلاد لنرى ما لم تره عين، ونسمع ما لم تسمع به أذن، ونتمتع بما لم يخطر على قلب بشر.

وبعد قراءة الإنجيل المقدس وقف نيافة الأنبا بيمن ليلقى عظة القداس وعظة العيد. وعند التعليم والوعظ والمحاضرات التى ألقاها نيافته لنا وقفة.

ز- بطل التجربة (الزنازين):

من خلف الفتحة التى تعلو باب الزنزانة وهى عبارة عن فتحة فى باب عبارة عن ١٠سم×١٠سم وتسمى «النضارة» من خلفها وعلى مدار أربعين يوماً تقريباً ولمدة ساعتين بعد الغروب يقف نيافة العلامة الجليل والعالم الفاضل - رغم صحته العليلة وأمراضه المستعصية التى تحتاج منه إلى سفر دائم إلى إنجلترا وأمريكا لإجراء الفحوص الطبية المستمرة- ليلقى محاضرات مستمرة، شرح لنا فى أيام التجربة ما يقرب من ست رسائل لمعلمنا بولس الرسول واهتم برسائل الأسر، كما أفاض شرحاً وعمقاً وتحليلاً كتابياً ولاهوتياً وروحياً فى رسالة العبرانيين. وبعد المحاضرات كان يجيب عن التساؤلات وكل خلف نضارته لا يرى أحدنا الآخر.

إنما تعارفنا من خلال الأصوات وأرقام الزنازين.

الحوار:

فمثلاً صوت يقول: لو سمحت يا سيدنا، أيوه مين؟ فيرد الصوت: أنا أنبا فلان فى القلاية (الزنزانة) رقم كذا... اتفضل يا سيدنا... أو أنا أبونا فلان فى القلاية رقم كذا...اتفضل يا أبونا.

أو أنا فلان (علمانى) فى الزنزانة رقم كذا اتفضل يا أخ، ومرة أخرى كلمة حق لم يتدخل أحد من المسئولين أو الحراس لمنعنا من الحديث أو يقاطعونا فى صلاة ولا فى محاضرة ولا فى حوار دينى.

فكان الأنبا بيمن قائداً وبطلاً ومعلماً ومرشداً لنا فى فترة التجربة حمل العبء على كتفيه حتى خرجنا منها، واشترك بقية الآباء بعد ذلك فى التعليم والوعظ.

وقف الأنبا بيمن ليعظ حول مجيء المسيح للسلام. وحضر العظة معنا الدكتور مجدى والملازم أول شكرى وقام الأنبا ويصا بصلاة القداس الإلهى، والأنبا ويصا له باع طويل فى الألحان والتسبحة والصلوات الطقسية.

يضاف إلى ذلك الصوت الملائكى الجميل والإتقان لألحان القداس الإلهى.

واستمر بنا الحفل الإلهى المقدس حتى الساعات الأولى من يوم الخميس٧ يناير ١٩٨٢.

وتقدم الجميع تقريباً وبلا استثناء إلى مائدة الرب. وحول مائدة الرب المقدسة تجلت الكنيسة التى فى المرج، فالكنيسة هى جماعة المؤمنين الملتفة برأى واحد حول الأسقف فى سر الإفخارستيا.

فالآباء الأساقفة على رأس الاحتفال والمؤمنون معهم، وسر الإفخارستيا حال فى وسطنا فبالحقيقة:

هو ذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذى يرفع خطية العالم كله. واستأذن الأنبا بيمن النقيب مجدى والضابط شكرى أن يفطر معنا إخوتنا النزلاء فسمحوا وكرر لهم الشكر على تجاوبهم معنا.

واجتمعنا معاً على مائدة أغابى ذكرتنا بموائد الأغابى التى كانت تقام عقب القداسات فى القرون الأولى وفى حضور الأب الأسقف.

ح- بركة القداسات:

احتفظنا بالأوانى المقدسة معنا، وكنا نقيم على الأقل قداسين فى الأسبوع.

يوم الأحد قداس يبدأ الخامسة صباحاً وينتهى الثامنة وقبل تمام الصباح.

وقداس الجمعة ويبدأ بعد تمام الخامسة مساءً تقريباً وينتهى فى السابعة مساءً.

وكنا نقيم صلاة القداس على مذبح صنع من أقفاص الفاكهة والخضار التى تحضرها لنا الكنيسة أسبوعياً. ومن هنا سمى أحد الآباء هذه التسمية التى استعرناها عنوان الكتاب «المذود الجديد والمذبح الجريد».

وصلينا قداس عيد الختان ١٤ يناير.

وكانت أول فرحة خروج دفعة أخرى تحمل عدداً من رجال الدين فى يوم الثلاثاء ١٢يناير ١٩٨٢ وهم:

نيافة الأنبا بيمن، ونيافة الأنبا فام، والقس يوسف أسعد، والقس بيشوى يسى، وشكرنا الله على خروج هذه الدفعة.

واستمرت دفعات الإفراج ولم يأت شهر أغسطس١٩٨٢ حتى خرج آخر رجل دين من سجن المرج وهو القس بيشوى فخرى كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس ببورسعيد.

القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير

- **كنت الشماس الوحيد فى التاريخ الكنسى الذى تمت رسامته فى السجن**
- **سجلت الأحداث بعود كبريت محروق على صفحات الأجبية**
- **البابا كيرلس ظهر فى حلم للأب يوسف وقال: «خلاص خلاص» ليلة اغتيال السادات**

تذهب عيناه إلى الماضى ويعود بذاكرته إلى تلك الأيام حيث كان أمين خدمة كنيسة الملاك ميخائيل ببهتيم ويجول بين أكثر من ٣٠ كنيسة يرد على افتراءات الشيخ الشعراوى على المسيحية والتى كان يبثها تليفزيون الدولة كل جمعة.. ويذكر كذلك أنه أصدر وقتها كتاباً سبب ضجة كبرى... كان عنوانه «المسيح فى القرآن والفكر الإسلامى»... طوره أكثر من مرة بعد رسامته كاهناً ويصدر حالياً باسم «الأعظم..مميزات المسيح فى جميع الكتب».. إنه القمص عبد المسيح بسيط.

وأتركه يروى لكم..

يوم٤ سبتمبر١٩٨١ التقيت بنيافة الأنبا مرقس أسقف شبرا الخيمة وأب اعترافى فى مناسبة، وعرفت من نيافته أننى ضمن المجموعة التى سوف يتم التحفظ عليها، وكنت أشعر بتحركات غريبة من حولى! وبالليل اشتريت الجورنال فوجدت فيه بعض صور الآباء ووجدت صورة أبونا بولس باسيلى وتأكدت أنه سوف يتم القبض علىَّ لأن أبونا بولس كان يرد على الشعراوى وأنا كنت أفعل نفس الأمر...عدت لمنزلى ونمت فى تسليم كامل لأمر الله. وفى الساعة الخامسة فجراً وجدت «خبطاً» شديداً على الباب وفتحت ليتراص أمامى صفان من العساكر من باب غرفتى إلى باب الشقة واثنان من ضباط أمن الدولة قالا لى: «عايزينك ساعتين وهترجع» – الساعتين أصبحوا «١٠» شهور ونصفاً– استأذنتهم فى تغيير ملابسى وأخذ الإنجيل معى. ثم ركبنا سيارة «بوكس» ومن ورائى سارت عربة أمن مركزى. فى البداية ذهبت إلى قسم أول شبرا الخيمة. ووضعت فى تخشيبة لم يكن بها غير

واحد شيوعى- لا أذكر اسمه- قال لى: «إنهم يقبضون على الناس التى تعمل شغباً أثناء خطاب الريس» فقلت له: «أنا مدرس إنجليزى وفى نفس الوقت خادم فى الكنيسة وليس لى فى الشغب» ثم جاءت عربة أخذتنى إلى حيث لا أدرى، فعندما اتجهت ناحية «مسطرد» قلت لنفسى: «هذا طريق سجن أبو زعبل». وعندما اتجهت ناحية «سرياقوس» قلت: «رايحين وراء الشمس» ووجدت نفسى فى سجن المرج، وبعد أن دخلت تم تفتيشى وأخذوا الأمانات واحتفظت بالإنجيل وكانت المعاملة جيدة بلا تجريح أو إهانة، فإحساس المتعاملين معنا أننا لن نسىء للبلد بل «أخذونا كمالة عدد» ولتحقيق «الموازنة»، وأول ما دخلت ووجدت الأساقفة والكهنة شعرت بالاطمئنان، وفى زنزانتى كان معى واحد من عائلة البابا شنودة بأسيوط والثانى كان مقاولاً متخصصاً فى بناء الكنائس والمساجد، وشعرت بجوع شديد فقلت لهما: «أنا جعان فيه أكل؟» قالا لى: « ليك نِفْس تاكل؟!» وبالفعل أكلت عسل أسود وعيش نظيف قوى وأكلت بنفس.

ويستطرد القمص عبد المسيح: «الزنزانة كان طولها ٢متر وعرض متر واحد وإحنا ٣ وفى نهايتها نصف متر يفصل عنه «فاصل طوبة ونصف» كدورة مياه بدون باب وهو أمر كان محرجاً جداً بالنسبة لنا».

باب الزنزانة كان به فتحة عبارة عن١٠سم وروائح الحمام لا تطاق وبعد٤ أيام أخرجونا من الزنزانة وتمت المناداة على ٨٥ واحداً من العلمانيين تم «ركنهم على جنب» وتبقى ٨ أساقفة و٢٤ كاهناً و٢٤ مسيحياً من العلمانيين اتهاماتهم مرتبطة بالخدمة فى الكنيسة وتم ترحيل الـ٨٥ الذين ارتبطت اتهاماتهم بخناقات مع المسلمين إلى أبو زعبل، وأذكر أنه كان هناك نوع من الإرهاب النفسى عند المناداة على اسمى حيث قال الضابط:

-إنت بقى عبد المسيح بسيط بتاع الإنجليزى فى طوخ الثانوية؟

-نعم.

فقال الضابط: «ابقى قابلنى!» بإيحاء أن «وقعتى سودة» ثم رجعنا الزنزانة وأصبح كل٢ فى زنزانة وكنت فى زنزانة رقم «٢» فى العنبر حرف T بداخل عنبر التجربة مع الدكتور عادل وهبة «مكرس للخدمة بخلاص النفوس»، وبدأت أسقفية الخدمات بأن ترسل لنا الأناجيل والأجبيات للصلاة. وبدأنا نصلى ونعمل دراسات فى الكتاب المقدس يقدمها الأنبا بيمن ويقوم أبونا إبراهيم عبده بالترانيم ويقرأ القمص يوسف أسعد قسمة «الابن الوحيد» التى كان مطلعها «أيها الإله الوحيد الذى أحبنا»، وفى يوم ٥ أكتوبر قالوا لنا إن الأنبا صموئيل أسقف الخدمات سوف يأتى بعد انتهاء العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر

للغداء معنا، وقاموا بتنظيف السجن وزينوه وتنظيف الزنازين، وسمحوا لنا بالاستحمام فى دورة المياه بعنبر التجربة وتهيأنا للغداء مع الأنبا صموئيل ومع مأمور السجن. وجاء يوم ٦ أكتوبر وسمعنا صوت طيارة واحدة ولم ترجع. وجدنا جميع ضباط السجن لابسين ميرى حتى الطبيب وكان القلق واضحاً بأن هناك أمراً خطيراً حصل وأخبرونا أن زيارة الأنبا صموئيل ألغيت. وكان فى الليلة السابقة حلم أحد المسجونين العلمانيين بأن البابا كيرلس ظهر له وقال له: «خلاص خلاص» ورأى نفس الحلم الأب القس يوسف من حاجر مشطا بسوهاج وتخيلوا أن الإفراج قادم وعرفنا يوم٧ أكتوبر– وكان من المقرر فيه زيارة أهالينا– أن الزيارات ألغيت بسبب «وفاة الرئيس» وجاء لى إحساس أن هذه نتيجة «من يمد يده على الكنيسة»، وكنا نشعر بهذا الإحساس موجوداً عند ضباط السجن، وفى يوم ١٦ أكتوبر نقلونا لسجن وادى النطرون، حيث وضعونا كلنا فى عنبر واحد وبدأنا نتعرف ونقرأ الصحف القديمة والجديدة. وهناك قال لنا ضابط كبير: «صلوا كمان وكمان علشان ربنا يا يعدلها يا يشوف له حل». ثم رجعنا للمرج ولكن فى عنابر كنا نصلى أو نعمل جلسات سمر حيث كان أبونا إبراهيم عبده وأبونا لوقا سيداروس يلعبان طاولة. والأساقفة يعملون مناظرات مثلاً حول العلامة أوريجانوس بين المؤيدين والمعارضين، وأصبحنا كأننا فى مؤتمر روحى. وهناك عملنا قداس عيد الميلاد، وفى يوم عيد الختان رشحنى الأنبا بنيامين للرسامة شماساً «أغنسطس» وتم ترشيح الدكتور «نبيل» شماساً أبسلتس وقام برسامتى الأنبا تادرس أسقف بورسعيد وكان يقول عنى: «ابنى الذى ولدته فى قيودى».

ويستطرد القمص عبد المسيح قائلاً: «لا يوجد أحد يشعر بالسجن إلا من سجن.. الحبس أمر مؤلم جداً خاصة أنى كنت شاباً كثير الحركة وأذكر أول جملة كتبتها على حائط الزنزانة الآية المقدسة «من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». وذلك بعود كبريت محروق، وأصبحت أسجل الأحداث بأعواد الكبريت على صفحات الأجبية التى ما زلت محتفظاً بها. ومن هذه الأحداث «يوم الترحيل» وغياب الأنبا صموئيل عن الزيارة. وأثر قلقنا على الكنيسة ككل... ويضيف: كانت تاسونى «زوجة أبونا تادرس يعقوب ملطى» تحضر كميات كبيرة من الكتب التى كنت أستعيرها منه، وفى السجن وضعت مسودات عدد من الكتب منها «إعجاز الوحى والنبوءة فى سفر دانيال» و«هل صلب المسيح حقاً وقام؟».

ويقول القمص عبد المسيح عن خبرته من هذه التجربة إنه عاش الكنيسة فى قلبها فكان علمانياً تعايش فى وسط الأساقفة والكهنة شهوراً لا يفصل عنهم شىء ويضيف: «عرفت الكنيسة بتفكر إزاى ما يسعدها وما يبكيها» وعندما خرجت من التحفظ كان عندى خبرة

كافية فكانت بالنسبة لى مرحلة إعداد للكهنوت والخدمة... وكسبت ثقة ٨ أساقفة كلهم رشحونى للكهنوت وعرف الأنبا مرقس، فعندما طلب منى قداسة البابا شنودة وكذلك من الأنبا أغاثون أسقف الإسماعيلية والمشرف على عيد العذراء وقتها «ترشيح شخص للرسامة على مسطرد» رشحونى، وتم تأجيل الرسامة سنين للظروف الأمنية حيث تم ترشيحى فى الصوم الكبير عام ١٩٨٣، وتمت سيامتى بيد قداسة البابا فى ١٥/١٢/١٩٨٥.

رقم الإيداع
٢٠١٨/٣٢٩٠
الترقيم الدولى
978 - 977 - 08 - 1785 - 0

أثناء عاصفة سبتمبر 1981، لم يكتفِ الرئيس السادات بعزل البابا شنودة إذ إن قوائم الاعتقالات الواسعة شملت 8 أساقفة و24 قسيسًا، أى 32 رجل دين مسيحى وهى حقيقة تاهت بمرور الزمن.

فى هذا الكتاب صفحات من ذكريات سجون سبتمبر يرويها الأساقفة والكهنة، وبعضها لا يخلو من طرافة رغم مرارة الظلم الذى استشعروه. أحد الأساقفة أطلق على المعتقل «شيراتون المرج»، وآخر كشف عن سر فرح القديسين فى السجن، وحكايات عن المعيشة، ومظاهر الحرمان خلف القضبان.

ولعل واقعة ترسيم القمص عبدالمسيح بسيط فى المعتقل كانت السابقة الأولى والأخيرة من نوعها، لكنها ليست الفريدة أو الوحيدة التى تثير الدهشة بين روايات الأساقفة.